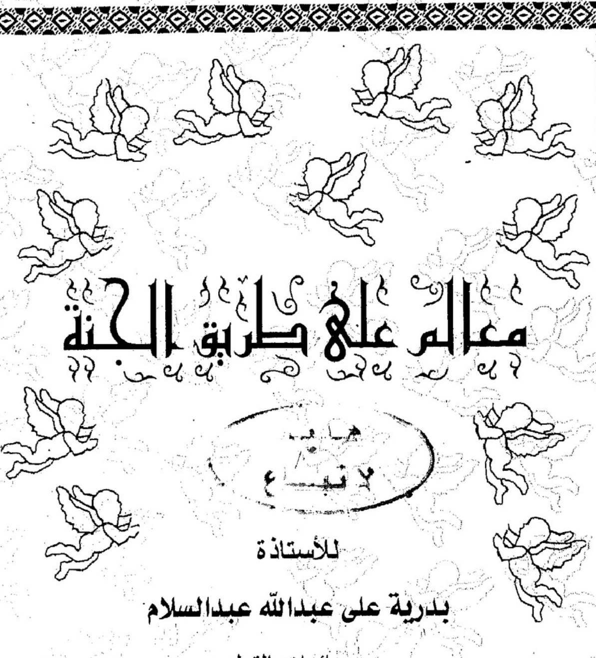


معالم على طريق الجنة

للأستاذة

بدرية على عبدالله عبدالسلام

من رائدات التعليم

الفتح

للطباعة والنشر

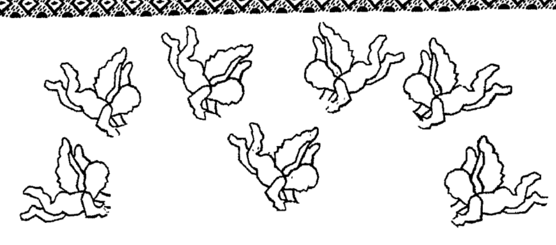
خلف ٤٤ش سوتير_أمام كلية حقوق الإسكندرية

ت: ٤٨٧٠٢٠٣-٤٨٧٠٢٠٤ ف: ٤٦٤٠٦٦٤

اهداءات ٢٠٠٢

أ/بدرية على عبد الله عبد السلام

الاسكندرية



معالم على طريق الجنة



للأستاذة

بدرية على عبدالله عبدالسلام

من رائدات التعليم

الفتح

للطباعة والنشر

خلف ٤٤ش سوتير_أمام كلية حقوق الإسكندرية

ت: ٤٨٧٠٢٠٣-٤٨٧٠٢٠٤ ف: ٦٦٤٠٦٦٤

تـقـديـم

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد عبد الغفار عبيد . الأستاذ بجامعة الأزهر وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

أعزائي القراء . هذه باقة يانعة يفوح من أفيائـــها عبـــق الإيمـــان ، وتشع من بين سطورها روح إسلامية صادقة ، لعلها نتاج إيمان عميق ، ورغبة صادقة في أن يتذوق حلاوة هذه المعاني والمعالي كل مسلم وكـل مسلمة يقع هذا الكتاب الطيب بأيديهم .

وقد حرصت المؤلفة – جزاها الله خيراً – أن تسجل تلـــك المعـــالم الإيمانية التي تهدي إلى طريق الجنة ، وتبعث على العمل لمـــا يرضـــي الله عز وجل ليعم نفعها ، ويفيض خيرها على كل من يسعى للتزود مـــن معين التقوى ، وروافد الهداية الربانية التي يقيض الله عز وجـــل لـــهذه الأمة من ييسر لها الأسباب ، ويزيل من دروبها العوائق ، ويصفي مـــن مساربها الأكدار !! .

ومن الإنصاف أن أقرر أن المؤلفة قد وفقت في أن تحشد في كتابـــها هذا قطوفا دانية من دوحة الإسلام العامرة ، جمعت فيها نفائس ولطـــائف وأزاهير متنوعة الأشكال والألوان والعبق ... ! منها ما يتصل بـــالعقيدة وثوابتها ومقوماتها ، ومنها ما يرتبط بالعبادات والمجاهدات ، ومنها مـــا يتعلق بالأخلاق والرقائق وتزكية النفوس ، ومنها ما يدخل فـــي نطـــاق سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وجهاده وعنائه في تبليغ الدعـــوة ، وصبره على الأذى ، وهديه في شتى الأمور ... ، ومن ثـــمَّ جـــاءت الوصايا والنصائح التي ضمها هذا الكتاب ـــــ معالم هدايـــة وأمـــارات دالة على طريق الجنة ، كما ذكرت المؤلفة ، وكما يستوحى من عنـــوان الكتاب ، وهو طريق آمن ، تحفه الظلال الوارفة ، وتكتنفه الطمأنينـــة ، وتحرسه السكينة ، ويسلكه السالك فيجد الأمن والرضا ، في غير نصـــب

ولا عناء ، إذ تسلمه كل مرحلة من مراحل الرحلة الراشـــدة إلـــى التي تليها في رضوان من ربه ، ورشد من أمره ، بعيـــداً عـــن التيـــه والتخبط ، وفي مأمن من العوائق والعثرات . ولا غرو في ذلـــك فـــإن السالك لهذا السبيل يكون عبدا طائعا ، يمتثل أمر ربـــه ، ويجتنـــب مـــا نُـــهـــيَ عنه وحُـــذِّر منه ، فهو يبدأ المسير وأمله عظيـــم فـــي بلـــوغ غايته، وتحقيق حلمه في الفوز بموعود ربه الذي بلّغه في كتابه الكريـم ، وأكده في هدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

والكتاب في مجمله يحوي جرعة مهمة من الثقافة الإسلامية الميسـورة ؛ لينتفع بها على وجه الخصوص من لم تتـــح لـــهم فرصـــة الدراســـة المنهجية ، فهو لا يصعب فهمه أو استيعاب ما به من حقائق على مـــن لديه أوليات المعارف والثقافات العامة . ولعل المؤلفـــة قصـــدت ذلـــك قصدا؛ لأنها حرصت على تيسير المعلومة وتقديمها للقراء فـــي قـــالب سهل مفهوم ، فاختصرت كثيراً من النقول التـــي يســـوغ اختصارهـــا ، وروت بعض الآثار بالمعنى بما لا يُخِـلُّ بمضمونها ، ولا حـــرج فـــي ذلك طالما أنها حافظت على السياق ، ولم تخلط بين المسائل . وهـــذا لا يقلل من أهمية ما أوردته في كتابها من حقائق ؛ لأن قصدهـــا التيســـير والتقريب، وحسبها أنها لم تخرج فيما كتبته أو دوّنته عن صميم الحقـــائق الإسلامية المقررة التي لا خلاف عليها ، ولا مماراة في صحتها.

والله أسأل أن يثيبها على حسن صنيعـــها ، وأن يبـــارك جـــهدها ، ويجعله في ميزان حسناتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مـــن أتـــى الله بقلب سليم . إنه ولي ذلك والقادر عليه . والله من وراء القصـــد ، وهـــو حسبنا ونعم الوكيل .

أ د/ أحمد عبد الغفار عبيد

الإسكندرية – جمادى الآخرة ١٤٢٢م

أغســطــس ٢٠٠١م

مقدمة الكتاب:

إن الحمد لله . إله الأولين والآخرين . والصلاة والسلام على خير البرية صفوة خلقه ، وخاتم أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .

أحمده سبحانه أن وفقني لإعداد هذا الكتاب بعون منه وتوفيق ، وهو سبحانه الذي بنعمته تتم الصالحات . سبحانه سبحانه ! كشف القناع عن الغافلين ، وأرشد الخلق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأيده بالكتاب المعجز ليكون مشعل هداية لإسعاد البشر في دينهم ودنياهم . وأول ما يدعوهم إليه الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، لا يشاركه أحد في ملكه ، ولا ينازعه في قدرته ، ولا يعارضه في مشيئته ، وأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى السير في الأرض والنظر في عواقب المكذبين الجاحدين ن كما أمرهم بالتأمل في ملكوت الله جل شأنه ، والتدبر في عجائب قدرته ، وبدائع خلقه ، وبيَّن لهم مقدار النعيم الذي أعده الله عز وجل للطائعين ، والنكال الذي رصده للمكذبين .

وقد أردت بما أسوقه للقراء في هذا العمل المتواضع أن أضع بعض المعالم على طريق الهداية وسبيل الجنة عسى أن يهتدي بها من يوفقه الله عز وجل ويجعله من السعداء ، كما حذرت من مغبة الجحود والكفران أعاذنا الله من سلوك سبيل الغواية وهدانا بمنه وفضله إلى سواء السبيل . كما أسأله سبحانه أن يرقق بما سطرته في كتابي هذا القلوب المؤمنة ، والنفوس المطمئنة ؛ لتزداد إيمانا مع إيمانها . كما آمل أن يكون مبعث هداية للعصاة البعيدين عن سبيل ربهم فيعودوا إلى ساحات الطاعة والعبودية الحقة لله عز وجل . إنه نعم المولى ونعم المجيب .

كما لا يسعني إلا أن أسجل شكري وتقديري للأستاذ المفضال الأستاذ الدكتور / أحمد عبيد عميد كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية على تفضله – بتواضع محمود – بمراجعة المادة العلمية لهذا الكتاب والتقديم له سائلة المولى عز وجل أن يجزيه خيراً ويكثر من أمثاله ، وأن يمتعه الله عز وجل بالعافية ويتم عليه نعمته .

وآخر دعوانا " .. أن الحمد لله رب العالمين ".

المؤلفة .

من معالم الطريق إلى الجنة ...
الاعتقاد بوحدانية الله عزّ وجل .

الوحدانية هي الركن الأساسي من أركان الإيمان ، وهي رأس العقائد، وتعني الإقرار بأن الله عز وجل واحد ، ليس له شريك ، ولقد دعا الإسلام إلى الإيمان بوحدانية الله ، وإفراده بالخلق والتدبير والتصرف ، وأن ينزهه العباد عن أن يكون له مشارك في العزة والسلطان . فهو سبحانه الخالق لا خالق غيره ، وهو المدبر ولا مدبر سواه . وتوحيد الله سبحانه فرض عين على كل مكلف ، يجب أن يحققه ويؤمن به ، قبل أن يؤدي العبادات ، ويقصَد بتوحيد الله عز وجل الإرار بأنه الإله المعبود الذي لا شريك له ، كما يعني نفي المثل والنظير والشريك ، ومن ثم يكون التوجه بالعبادات العملية ، والقلبية ، والدعاء والرجاء ... إليه وحده . وهو حق على العباد باليقين المنافي للشك ، وبالصدق المنافي للكذب .. ، ومَنْ حقّق التوحيد دخل الجنة. قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام / ٨٢ .

ويتصل بالتوحيد لله أن يحقق العبد الأصول الثلاثة وهي : معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه صلى الله عليه وسلم . فمعرفة الله عز وجل تقتضي معرفة آياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ... ، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون وما فيهن وما بينهن ... ، فمن عَبَدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد الذى يعتمد بقلبه على ربه ، ويستند إليه ، ويطمئن إلى تدبيره مفوضا أمره كله إلى الله في جلب مصالح دينه ودنياه . فإعتماده وثقته بالله حصنته من خوف الأسباب ، وأيضا العدل في حقوق الله بأن تصرف نعمه في طاعته ، ولا يستعان بشئ منها على معصيته ــ قال تعالى (قُلْ أغيْرَ اللّهِ أتخِذُ وَلِيا فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ وهوَ يُطْعِمُ ولا

يُطعَمُ) الأنعام /١٤ .

والإيمان بالله الواحد الأحد معناه الإعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شئ . قوة غير محصورة ، ورحمة غير متناهية وكرم غير محدود ــ وياعجباً كيف يُعصى الإله ؟! أم كيف يجحده الجاحد ؟! وفي كل شئ له آية ــ تدل على أنه واحد إله قدير رحيم يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ويمنح الجزيل من النعم ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل !! .

وأصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله عليه السلام من الأسماء الحسنى وأن تحصيها القلوب حتى تتأثر بآثارها ومقتضياتها ، وتمتليء بأجل المعارف فمثلا أسماء العظمة والكبرياء ، والمجد والجلال ، والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالاً له . وأسماء الجمال والبر والأحسان والرحمة ، والمغفرة ، والوجود تملأ القلوب محبة ، وشوقا له ، وحمداً له وشكراً . وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا وخشوعا وإنكساراً بين يديه . وأسماء المعرفة والخبرة والإحسان والإحاطة ، والمراقبة ، والمشاهدة تملأ القلب خشوعا وخضوعا لله ، ومراعاة مراقبة له سبحانه في الحركات والسكنات ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة ، والإرددات الفاسدة، وهذه المعارف من روح التوحيد ، وهى أفضل العطايا من الله عز وجل ذي الفضل والمنّ . قال تعالى : (بَلِ اللَّه فاعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِين) الزمر/ ٦٦ . وقال عليه الصلاة والسلام : " احفظ الله يحفظك

احفظ الله تجده أمامك ، وإذا سألت فسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله ، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه ".

والتوحيد المطلق هو الحق الذى غالى به الإسلام ، وبسط آياته في كل أفق ، ومحبة الله في قرآة القرآن ، والتدبر والتفهم لمعانية وتأدية النوافل بعد الفرائض ، ودوام ذكره سبحانه باللسان والقلب ، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، ومشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهره والباطنة ، ومباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل ، وأعظم نعيم حب الله وعبادته ، والأنس به والشوق إليه كما أن أعظم نعيم أهل الجنة في النظر إلى وجهه الكريم ؛ لذا جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه : " ... ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ...".

وكلمة الإخلاص هى الحادي الذي لا يمل نداءه ولا يتلاشى صداه وهى كلمة لا إله إلا الله وهى مفتاح الأمل في الدنيا والآخرة ــ فالإيمان بالله هو أساس العلاقة بين المولى سبحانه وتعالى وبين عباده المؤمنين ، وبتحقق الإيمان ورسوخه في قلب العبد المؤمن يكون الأمل في ثواب الله وجنته .

ومن معالم الطريق إلى الجنة ...
الإيمان ، وحفظ الأمانة .

الإيمان ــ ما وقَرَ في القلب وصدّقه العمل ، والعمل تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، وألاّ يشرك العباد مع الله أحدا ، وألا يستعينوا إلا به ، وألا يتوكلوا إلا عليه ، ثم هم لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، وأن أفضل المؤمنين من كان في فعله وقوله متصفا بالأمانة قال عليه الصلاة والسلام : " لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا

عهد له " فالإيمان يثمر الأمانة ، وبالإيمان والأمانة يسود الأمـــن في شتى شئون الحياة ــ فالإنسان الذى أشرب قلبـــه الإيمـــان بـــالواحد المعبود ، الرقيب على كل شيء لا ريب أن يكـــون أمينـــا . فـــإذا أدَّى المؤمن أمانة الكلمة فقد قضى على الكذب والغيبة ، وقول الـــزور ، وإذا أقام المؤمن بأداء أمانة العين المبصرة فقد امتنع عن وقوع البصر علـــى ما حرمه الله ورسوله ... ، فالإيمان أمانة الله في الأرض لا يحملـــها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص !! فالإيمان ليس كلمة تقال وإنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانـــات ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال .

فالتوكل على الله جُـماع الإيمان ، وهـــذا هـــو إخـــلاص الاعتقـــاد بوحدانية الله ، وإخلاص العباد له دون سواه . فلا يمكن أن يجتمع فـــي قلب واحد توحيد الله والتوكل على أحد معه سبحانه ، وليس الاتكال على الله وحده بمانع من اتخاذ الأسباب . فالمؤمن يأخذ بالأسباب مـــن بـــاب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمره به من اتخذها ، ويستوفيها بقدر طاقتـــه لينال ثواب الله فيها ليثبت وجوده ويترجم عن حقيقته .

قال عليه الصلاة والسلام : " ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر فـــي القلب وصدقه العمل " .

ولتعريف الإيمان الذى يريده رب العالمين قـــال رب العـــزة جـــل وعلا: (إنما المؤمِنونَ الذين إذا ذُكِر اللّه وجِلتْ قلوبُـــهُمْ ، وإذا تُليـــتْ عليهم آياتُهُ زَادَتْهُم إيمانا وعلى ربهم يتوكلونَ ، الذين يُقِمونَ الصَّـــلاة ، ومما رزقناهُمْ يُنفقون أولئك هُمُ المؤْمِنون حقاً لهُم درجات عنـــد ربـــهم ومغفرة ورزق كريمٌ) الأنفال / ٢-٤.

والقرآن الكريم يتعامل مع القلب البشري بلا وســـاطة ، ولا يحـــول بينه وبين المعرفة سوى الكفر الذى يحجبه عن القلب ، ويحجب القلـــب عنه فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ووجـــد

في إيقاعه المتكرر زيادة في الإيمان تبلغ إلى الإطمئنان !! تلك هى الصفات التى حدد الله بها الإيمان . وهى تشمل الإعتقاد بوحدانيـة الله ، والاستجابة الوجدانية لذكره ، والتأثر القلبى بآياته والتوكل عليه وحـده ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزقه في وجوه الخير . فـالمؤمن الحـق يجد هذه الصفات في نفسه وفي عمله . قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاهـا قـول لا إلـه إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان " .

وأركان الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكتـه ، وكتبـه ، ورسـله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ... ، والإيمان لباسـه التقوى ، وريشه الحياء ، ورأس ماله العفة ، وهو باب الجنة ، ومفتـاح الأمل ، ومناط الرجاء ، والأمانة مقترنة بالإيمان ، ومرتبطة به ، وبقـدر إيمان المرء تكون أمانته ، وإذا رفعت الأمانة فلا إيمـان . ولقـد جـاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : " حدثني عن أشـد شيء في هذا الدين وألينه ؟ فقال عليه السلام : " ألين شئ في هذا الديـن (لا إله إلا الله) وأشد شيء في هذا الدين الأمانة ، فإنه لا إيمان لمـن لا أمانة له " .

وحياة الإنسان وما كلفه به الدين مجموعة أمانات مطالب بألا ينحـرف عنها . والأمانة في أصل معناها اللغوي مشتقة مـن الأمـن أى عـدم الخوف ، وطمأنينة النفس يقال أمنته على الشيء ، وائتمنته عليـه : أي أودعته إياه . فهناك أمانة استودعها الله الإنسان وهى (الدين) فواجـب كل إنسان أن يكون متدينا أى مؤتمرا بما أمر الله منتهيا عما نُهيَ عنـه، وإلا كان مفرطا خائناً للأمانة . قال تعالى : (يَاأَيُّـها الذيـن آمَنُـوا لا تَخُونُوا اللّه والرسُول ، وتَخُونُوا أَمانَاتِكُمْ وأنتم تعلمون) الأنفال / ٢٧ .

والإسلام يعد الإنسان متجردا من الإيمان إذا هو لم يـؤد الأمانـة . روى الشيخان وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آيـة

المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان

والكذب وخلف الوعد هما الخيانة بالقول ، وعدم رد الأمانة أو الوديعة هو خيانة بالفعل ... ، وهكذا علينا أن نفهم من هذا الأمر العام الشامل المتمثل في قوله عز من قائل : (إنَّ الله يأمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الأمانات إلى أهلِها) النساء / ٥٨ . فنفهم أن ليس المقصود فقط هو الودائع التى أودعت لدى الإنسان ، بل هو أمر عام شامل لكل أمانة تحملها الإنسان ، ولزمه أداؤها على الوجه الأكمل وإلا كان خائنا للأمانة . فالدين هو قوام كل شيء في الحياة ومن لا دين له لا أمانة له، والإنسان الحريص على أداء التكاليف الإلهية تكون نفسه مفعمة بالثقة في الله عز وجل ، والرغبة الصادقة في أداء أماناته لديها .

ومن الأمانات :

(1 أمانة بين المرء ونفسه ، وهى حفظ لجوارحه الموهوبة له من الله حتى لا تضل الطريق السويَّ وتنحرف عن فعل الخير ــ فالسمع ، والبصر والقلب ، واليد ، والرجل ، والقوة ... ــ أمانات لابُدَّ للإنسان معها من تقوى الله ، والتثبت والمحاذرة لقوله تعالى : (ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لكَ بِهِ عِلمٌ إنَّ السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ كُلُّ أولئِكَ كان عنْهُ مسئُولاً) الإسراء /٣٦ .

(2 وأمانة بين المرء وسائر الناس . ويتوقف النجاح فيها على الإيمان بحرية الناس والإحساس بكرامتهم وأقدارهم . فالعرض أمانة ، والمال أمانة ، والدم أمانة ... قال عليه الصلاة والسلام : " كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه " .

(3 وأمانة بين العبد وربه ، وهى التكاليف الشرعية ، والفرائض الربانية التى طالب اللّه بها ، وهى المقصود بقوله تعالى : (إنَّا عَرَضْنَا

الأمانة على السَّماواتِ والأرْضِ والجبال فأبين أن يحْمِلْنَها وأشفقنَ مِنْها وحملها الإنسانُ إنّهُ كان ظلوماً جَهُولاً) الأحزاب / ٧٢ . والآية تعبر عن تحمل الأمانة ، وهي في جوهرها أمانة صعبة تتمثل في تحمل أعباء التكليف وحرية الإرادة ، ومسئولية الاختيار ؛ فقد أبتْ كل المخلوقات الأخرى ، وتقاعست عن حمل هذه الأمانة ؛ خوفا من التقصير في القيام بحقها والوفاء بأعبائها ، ولكن الإنسان اختار لنفسه الطريق الصعب الذي يليق بمكانته عند الله سبحانه وتعالى ، ويتناسب مع ما وهبه الله من قدرات . فالإنسان ميزه الله بالمركز الممتاز بين الخلائق أجمعين ، فاختصه الله بالتكريم ، واختصه بالعقل وجوهر التفضيل يتجلى في ذلك السر الذى أودعه الله فيه والمشار إليه في قوله تعالى : (فإذا سَوَّيْتهُ ونَفخْتُ فيه من رُوحى فقعُوا له ساجِدِينَ) الحجر /٢٩.

وهذا السر هو معنى الإنسانية والذى من أجله أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم اعترافا بفضله ، وإذعانا لأمر الله والسجود لتعظيم الإنسان على غيره من المخلوقات ، والإنسان ليس بقدرته البدنية بل بكفاءته المعنوية ، ولم يطلب الله من الملائكة أن يسجدوا لآدم أبى البشر لما منحه من قوة جسمية ، وإنما لما منحه من قدرات أدبية ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذى سيحاسب لأنه هو وحده المسئول عن كل ما يصدر منه من تصرفات . قال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) المدثر / ٣٨ . وقال سبحانه : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة / ٢٨٦. وقال عليه الصلاة والسلام : " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة " . فهذا الحديث جمع أمهات الخلال الكريمة ، وأصدق ركائز الإيمان ؛ فالخليقة : الخلق والعفة : التنزه والكف والترك ، والطعمة : المأكل أي طريق تحصيل الرزق ،

فإذا عمر قلب العبد بالإيمان وقام بحق الأمانات المسندة إليه نـــال رضاء الله وثوابه .

إقامة أركان الإسلام الخمسة :

يقول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بُني الإسلام علـــى خمـــس " شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصـــلاة ، وصـــوم رمضـــان ، وإيتـــاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " .

(1 فالشهادة : هى الإقرار بأن الله لا إله إلا هو وحده المتفرد بالألوهية، لا شريك له ولا معبود بحق سواه ، فقد بث سبحانه وتعالى في الكـــون دلائل وآيات وحدانيته ، وتفرده بالألوهية . والنطق بالشهادة بـــإخلاص من القلب دلالة الإيمان وحب الله وأنه واحد لا شريك له ، وأن محمـــدا نبي الله ورسوله ، وبشير الهدى والإيمان ـــ فالمؤمن المسلم يعتز بـــهذه الشهادة ـــ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والنطـــق بـــها فرض على كل مسلم ، والشريعة الإسلامية طلبت من العبـــد التعـــرَف على ربه عن طريق التفكر في ملكوته وبديع صنعه وعجائب مخلوقاتـــه؛ ليزداد فيه الجانب الروحي رسوخا فيضيء نور الإيمـــان أرجـــاء قلبـــه وتتعلق روحه بمصدر الوجود وعندئذ يهتدي إلى ما يجب لخالق الوجـــود من تقديس وتعظيم ويشهد بأنه لا إله إلاهو له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير .

(2 أما الصلاة فيجب التطهر قبلها ، وذلك بالوضوء ولا وضوء لمـــن لم يذكر اسم الله عليه ، وهي الركن الثانى من أركان الإســـلام ، وهـــى خمس فروض ، وهى من أعظم ما بيَّنه الرسول صلى الله عليـــه وســـلم للمسلمين قولاً وفعلاً ، وقد خص الله عز وجل الصلاة من بين طاعاته ، فجعلها الرابطة بينه وبين عباده ، وفرضها من فـــوق ســـبع ســـموات ، وجعلها مفرجة للكرب ، ومزيلة للهموم ، وميســـرة للـــرزق ، ومفتـــاح

الصحة والسلامة ، وهي طمأنينة في القلب ، وسكون في النفس وعون على مصاعب الحياة !! وهي حصن المؤمن في الدنيا يحمي بها نفسه من الشيطان ، وهي عماد الدين ، ورأس القربات ، ودرة الطاعات ، فمن حافظ عليها سعد بها في الدنيا ، وكانت له أنسا في وحشته ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى مرضاة للرب ، وهي شُغل الملائكة ، وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وثقل في الميزان ، وجواز على الصراط ، ومفتاحٌ للجنة ... وفي الصلاة تحميد ، وتسبيح ، وتقديس ، وتعظيم فهى أفضل الأعمال ، ويجب أن تؤدى بفراغ قلب وخشوع لله سبحانه ، ومن أهم صفات أهل الجنة المحافظة على الصلاة قال تعالى : (والذين هُم على صَلاتِهم يُحافِظُون أولئِك في جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) المعارج / ٣٤،٣٥ . والصلاة نعمة كبرى أسبغها الإله على البشر فهي تطهر النفس والجسد من الإثم والنجس ، وهى تبدد وساوس النفس الأمارة بالسوء وتبعدنا عن الفتن والأهواء ، وتنشط الذهن ، وتقوى البدن ، وتجعل الإنسان في قمة التواضع ، والسمو الروحي فيتخلص من غرور المال والجاه والمركز ، وهكذا تصبح الصلاة حصنا منيعا يعصم العبد من الوقوع في المعاصي، والخنوع للضلال وتجعله يحرص على التوبة والصلاح ، والصلاة صلة بين العبد وربه ، وهي أول ما أوجبه الله سبحانه وتعالى من العبادات ــ فهي عماد الدين لقول النبي عليه السلام والسلام : " ... من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين " . وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسر .

والصلاة بركة في الرزق ، ومبعدة عن الشيطان وشفيع بين صاحبها وملك الموت ، ونور في قلبه ، وفراش تحت جنبه ، وزائر مؤنس للعبد الطائع يبقى معه في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا حانت القيامة كانت

الصلاة ظلا فوقه ، وتاجا على رأسه ، ولباسا على بدنه ، ونـــورا يسعى بين يديه ، وسترا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمن بين يــدى رب العالمين، وثقلا في الميزان ، وجــوازا علــى الصــراط . لأن أفضــل الأعمال كلها الصلاة ، فإذا صلى العبد يقول الله تعالى : " عبـــدى مــع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وركوعا وسجودا ، وقـــراءة وتحميـــدا وتكبيرا وسلاما فأنا مع جلالى لا يحصل منى أن أمنعك جنة فيها ألـوان النعيم . أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتنى بأنواه العبــادة وأكرمــك برؤيتي كما عرفتنى بالوحدانية فإنى لطيف أقبل عذرك وأرحمك " !! .

والصلاة طهارة ، وتربية للنفس ، وتوجيه للقلب ، وتنوير للفكر إلــى التحلي بالأعمال الفاضلة ، والتخلي عن المعاصي ، والبعد عن الذنــوب، ويتقرب العبد الطائع المؤدي للصلاة بالنوافل فنزيدها عددا ، وتضــاعف ثوابها . قال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليـــل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) هود / ١١٤ . وكان أمــر بالتهجد للرسول خصوصية له . لقوله تعالى :

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربــك مقامــا محمــودا) الإسراء / ٧٩ فكان الأمر بقيام الليل فرضا على النبي لمقامه العظيم عنـد ربه ، وأنه رسول وهو أعرف الناس بقدر ربه عز وجل ، وهو أحــب خلق الله إليه ــ أما سائر المسلمين فيعد قيام الليل من أعظم القربات إلــى الله تعالى ــ فالمتهجد يــترك نومــه ، وراحتــه للاشــتغال بالعبــادة ، والوقوف بين يدي رب العالمين في هدأة الليل فكان على من وفقـــه الله إلى هذه العبادة أن ينال من الله الرضا والقبول . يقول المصطفى صلــى الله عليه وسلم فيما يروى عن رب العزة تبارك وتعالى:

... "وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، ومــايزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبــه . فــإذا دعــانى أجبتــه ، وإذا ســألنى أعطيته ".

وصلاة النوافل كثيرة منها صلوات السنة التى تأتى بعد الفروض وأيضا صلاة الضحى ، وصلاة التراويح وغيرها من الصلوات التى تقرب العبد إلى ربه ، فيحظى برضاه ويقترب من جنته .

والموت الذي هو نهاية كل حيٍّ غيب لا يدرى الإنسان متى يدركه فمن أراد ألا يموت إلا مسلما فسبيله أن يكون في كل لحظة أن يكون طائعا لربه ، متبعا لمنهجه ، محتكما إلى كتابه ، معتصما بحبله ، وهذا هو المسلم الحق الذى عرف ما يجب عليه نحو خالقه عز وجل .

الصيام :

وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ، وقد فرض الله على المسلمين الصيام في رمضان ، ولرمضان فضل على سائر الشهور ، فأبواب السماء تفتح من أول يوم في رمضان حتى آخر ليلة من لياليه ، والصيام يوقظ ما خمد من النفس الإنسانية ، ويحيي ميلها للرحمة والعطف ، ويحرك ما جمد من القلوب ، ويتغير فيه نظام الحياة اليومي ، ويعيش المجتمع المسلم حياة قوامها السمو الروحي ، والكمال النفسي طوال شهر رمضان ، وللصوم آثاره الإصلاحية في نفوس الأفراد والجماعات، فهو يشيع في المؤمن روح القناعة ، فيترفع عن شهوات الدنيا ومتاعها الرخيص ، وتسمو نفسه إلى الغايات العليا والأهداف السامية ، فالصيام يرتقي بالمؤمن إلى آفاق عظيمة من السمو ، ويشيع في النفس المؤمنة الرغبة في المجاهدة للشهوات ؛ أملا في بلوغ رضوان الله عز وجل ، وتحيق الغاية من الصوم وهي التقوى ، قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة / ١٨٣.

فالصائم يمسك عن الطعام والشراب ومطالب الجسد طوال أيام رمضان من طلوع الشمس إلى غروبها ، طواعية ودون تذمر أو

ضجر؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة ربه ، وامتثالا لأمره ، ومـــن هنا فإن الصيام يعوّد العبد الطاعة ، ويرتفع به عن الصغائر ، كمـــايعوده الالتزام بمكارم الأخلاق ، وجميل الصفات ، إذ يتحاشى الوقـــوع فيمـــا يفسد عليه صومه ، أو يحط من ثوابه ؛ فـــلا يكـــذب ولا يغتـــاب ، ولا يمشي بالنميمة، ولا يقول الزور ، كما يقوي الصوم مراقبة الضمـــير ، ويؤكد في العبد المؤمن الشعور بالمسئولية ؛ لأن الصـــائم ليـــس عليـــه رقيب إلا الله ، وهو سبحانه الذي يعلم سره كما يعلم علانيته .

ومن ميزات الصوم وآثاره النافعة أن الإحساس بالجوع لدى الصـــائم يحرك في نفسه مشاعر الرحمـــة بـــالفقراء والبائســـين والمحرومـــين ، فيذكرهم ويعطف عليهم ، ويداوم على تعهدهم ببره ويفيض عليهم ممـــا أعطاه الله ورزقه ، وهكذا يكون الصوم خيرا عميما وبابا عظيما للخـــير وصالح العمل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وســـلم إذ يقـــول : " يوم الصائم عبادة ، ونفسه تسبيح ، ودعاؤه مستجاب " ومـــا مـــن عبـــد يصوم رمضان بإخلاص لله إلا غفر الله ما تقدم من ذنبـــه ، وضـــاعف له الأجر .

والصوم سر من الأسرار المصونة بين الخالق عـــز وجـــل وبيـــن عباده، فهو يربي في الفرد مكارم الأخلاق ، ويجعلـــه يراقـــب الله عـــز وجل في أعماله كلها ، ويحاسب نفسه على الصغير والكبير ، ومن ثـــم يدخله في زمرة أهل التقوى والخشية لله ، الممتثلين أمره المجتنبين مـــا نهى عنه ، وبذلك يكون الصوم من أقوى العبادات التي تزكـــي النفـــس وتسمو بها . وفضلا عن ذلك كله فالصوم مفتاح الجنة ، كما أنه مفتـــاح الصحة ، قال صلى الله عليه وسلم : " لو تعلم أمتي ما في رمضان مـــن الخير لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان " وقـــال أيضـــا : " جوعـــوا تصحوا " .

وقد فرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة ، وهو شـــهر بهجـــة

وخير على المسلمين ، تسمو فيه الأرواح ، وتزكو النفوس ، ويتواصل المسلمون ، وتجتمع قلوبهم على طاعة الله عز وجل وامتثال أمره ، وتبدو الروح الإسلامية أكثر قوة ووضوحا في ذلك الشهر ، ولا غرابة في أن يكون ثواب صيامه وقيامه عظيما ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن رب العزة جل وعلا في الحديث القدسي : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " .

وفي رمضان أنزل القرآن ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفي رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وهي مما اختص به المولى عز وجل عباده المسلمين .

وهكذا يأتي رمضان وفي رحابه كل تلك الخيرات ، فهو مناسبة طيبة يغسل الإنسان فيها نفسه مما علق بها من الأدران ، ويطهر قلبه مما قد يكون علق به من أسباب الهوى ونزغات الشيطان . فعلى المسلم الحصيف أن يغتنم هذه الفرصة — فرصة شهر الصوم — فيستعد له ، ويشمر عن ساعد الجد ، ويكثر فيه من الطاعات والقربات ، فيعمر بيوت الله ، ويجتهد في العبادة ، ويكثر من الصدقات على المحتاجين ، وينفق في وجوه الخير ، ويقوم الليل ، ويعكف على قراءة القرآن ويحسن التجارة مع الله عز وجل ؛ لأنها تجارة رابحة لن تبور !! .

وقد بين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فضل شهر رمضان ، وأوصانا بحسن استقباله ، واغتنام ما فيه من الخير العميم . فقد خطب عليه الصلاة والسلام الناس قبيل رمضان فقال : " أيها الناس . قد أظلكم شهر عظيم ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه " . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، ومن فطَّر فيه

صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتقاً لرقبته من النار ، وكان له مثـــل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . وهو شهر القرآن . والصيـــام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة كما بين لنا الصادق المصدوق صلـــى الله عليه وسلم : " ... يقول الصيام : أي رب . منعته الطعام والشـــهوة فشفعني فيه . ويقول القرآن : أي رب . منعته النوم بالليل فشفعني فيــه . قال : فيشفعان " .

وشهر رمضان شهر الانتصارات والأمجاد الكبرى فـــي الإســلام ، وأكثر انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم وقعت في شهر رمضان. ومن آداب الصيام غض البصر ، وكفه عن الحرام ، وحفظ اللسان عـــن اللغو والكذب والغيبة والنميمة ، وكف السمع عن الإصغاء لما يغضـــب الله عز وجل ، وحفظ الجوارح كلها عما نهى الله عنه . والصوم نصـف الصبر ، والصبر نصف الإيمان .

والصوم المندوب متاح للمسلم في غير رمضان ، وهو سبيل لامتـــداد الخير والفضل الذي عرفه المسلم لشهر رمضان ، ومـــن هنـــا حبـب الرسول صلى الله عليه وسلم في صوم التطوع ، وندب النـــاس لصــوم أيام بأعيانها ، منها ست من شوال ، وعشر ذي الحجة ويوم عاشـوراء ، والأيام البيض وهي أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر مـــن كل شهر قمري ، وصيام التطوع على مدار العام يقرب العبد إلى ربــه ، ويزلفه من جنته ، فقد وعد الله العاملين الطائعين الجنة ، فضــــلا منــه وتكرما ، وكذا سائر العبادات أبواب يفتحها الله لإثابة عباده الطــائعين ، دون استحقاق منهم لتلك المثوبة ، بل تحصل لهم فضلا من الله وإنعامــا، فمهما بلغ العبد من جهد وعمل فلن يكافيء إحسان الله إليه .

الـــزّكـــــاة :

وهي الركن الرابع من أركان الإسلام ، ويجب أداؤها على صـــاحب

المال الذي يبلغ النصاب ويحول عليه الحول ، ولها شروطها وأحكامها التي حددتها الشريعة الإسلامية ، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعلم ما هو مفروض عليه ، وألا يتهاون في أداء ما هو مكلف شرعا بأدائه حتى تسقط عنه الفريضة ، ولا يقع في دائرة المخالفة أو التضييع لركن مهم من أركان الإسلام . قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) البقرة / ٤٣ . وتعتمد فلسفة الزكاة في الإسلام على أن المال الذي بأيدينا هو مال الله ، استخلف فيه العباد ؛ لذا شرع فيه سبحانه حقوقا والتزامات على العباد أن يؤدوها في مصارفها التي شرعها الله ؛ توزيعا للثروة ، وإغناء للمحتاجين ، وإشاعة للتواد والتراحم بين الناس .

وتجب الزكاة في ألوان من الممتلكات والأموال ، وعوائد الأنشطة الاستثمارية كزكاة التجارة ، والزروع والثمار ، والماشية ... وغيرها ، وعلى كل مسلم ومسلمة عنده ما تجب فيه الزكاة أن يسأل العلماء ويتحرى إخراج ما يجب عليه إخراجه .

والزكاة تطهير للمال وتزكية لصاحبه ، وسدٌّ لحوائج الفقراء والمعوزين ، وإشاعة للمحبة بين الناس ، حتى لا يحقد المعسر على الموسر ، ولا يضطغن عليه ، ولا يحسده ، ومن ثم يشعر المسلمون بأنهم إخوة متعاونون ، ويشعر الفقير بأن الغني أخاه في الدين والإنسانية، فيدعو له بالخير ، ويتمنى دوام نعمته ، وأن يزيده الله فضلا وغنى ، على عكس المجتمعات غير الإسلامية ، إذ تشيع فيها الجريمة ، ويكثر عدوان الفقراء على الأغنياء والبطش بهم ، واستلاب أموالهم ، وبالتالي تشيع البغضاء بين الناس ، وصدق الله عز وجل إذ يقول : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) آل عمران / ١٣٣ .

ففي هذه الطاعات رحمة للعباد ، وتواصل وتواد ، والزكاة حق

للسائل والمحروم وهناك أبواب أخرى للنفقات المندوبة لـم يلـزم الإسلام بها المكلفين بل جعلها فضلا وعفوا ، لهم ثواب إنفاقها ، وأجـر بذلها ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

الـحـج :

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله عز وجـل علـى المكلف المستطيع مرة في العمر . قال تعالى : (ولله على النـاس حـج الناس من استطاع إليه سبيلا) آل عمران / ٩٧. والحج المبرور ليس لـه جزاء إلا الجنة ، فإذا خرج الحاج من منزله خرج من ذنوبه كيوم ولدتـه أمه ، ومن حج مرتين داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم على النار.

والحج من العبادات المليئة بالأسرار ، فعلى من دخل في شـعائره أن يؤديها كما افترضت عليه ، وألا يبحث عن أسباب تلك التكاليف ، ففـي الطواف والسعي بين الصفا والمـروة ، والوقـوف بعرفـة ، ورمـي الجمرات ... ، وغيرها أسرار يجب أن نؤديها امتثالا لما شرع الله عـز وجل وفعل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهي لحكم وأسرار يعلمـها الله عز وجل ، وهي منزهة عن اللهو والعبث . والحج رحلة إيمانيـة فيـها يخشع قلب المؤمن ، ويتخلص من أدران البطر والتعالي ، وفيه يتحقـق الشعور بالوحدة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وفيه تتـم فرصة عظيمة لجمع الشمل ، واجتماع المسلمين وأولـي الـرأي منـهم للنظر فيما يرتفع بشأنهم ويحل مشكلاتهم ، ويقـوي أواصـر الإخـوة والتعاون بينهم .

إن شعور المسلمين بالوحدة الإسلامية يتجلى في أبهى صـوره فـي موسم الحج ؛ إذ تلتقي الجموع المؤمنة التي تلتقي على كلمة التوحيـد ، وغاية مرضاة الله عز وجل يلتقون في صعيـد واحـد ، وقـد لبسـوا المخيط، ونبذوا ما يفرق بينهم ، شعارهم لبيـك اللـهم لبيـك ، كلـهم

ضارعون إلى ربهم ، يرفعون أكفهم ، سـائلين خالقـهم الرحمـة والمغفرة ، يلهجون بذكر الله والثناء عليه بما هو أهلـه ، يلحـون فـي الرجاء ، تسبقهم دموع الندم ، وتكسوهم حلل التذلل والانكسار ، يسـألون ربا رحيما وسعت رحمته كل شيء ، وسبق عفوه عقابه !! .

وفي الحج دعوة واجبة الأداء قصد منها أن يلتقي المسـلمون علـى اختلاف مواطنهم ، وتباعد ديارهم في زمن واحد وعلى مناسك واحـدة ، وفي أيام معدودة ؛ ليشهدوا منافع لهم ، وليحمدوا ربهم علـى نعمـه ، ويؤدوا جانبا من شكر ما أنعم به عليـهم ، وليتعرفـوا علـى أحـوال إخوانهم، ويعملوا على نصرة دينهم ، وإعزاز شأن أمتهم .

أثـر الـعـبـادات في حياة المؤمن :

وهكذا نرى أن العبادات التي فرضها الله عز وجل من صلاة وصيام وزكاة وحج هدفها أن تقرب العبد من ربه ، وتقـوده إلـى رضوانـه ، وحسن القيام على عبوديته بإيمان صحيح ، وقلب سليم ، وهـي توجـه الإنسان إلى السمو النفسي ، وترتفع به من عالم المادة بما يكتنفـه مـن شواغل ونهم وجشع وغفلة عن المعاني الإنسانية السـامية إلـى عـالم الروح والترقي الإنساني ، والترفع عن الدنايا ، والتخلـص مـن أثقـال المادة والشهوة ، وهذه هي الحياة بمعناها الحقيقي ، حيـاة الإنسـان ، لا حياة البهيمة ، يقول الحق سبحانه : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا لـه نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليـس بخـارج منـها) الأنعام / ١٢٢ . فحياة العبد الطائع القريب من حوزة ربه وحمـى خالقـه هي الحياة الحقيقية ، والله عز وجل بفضل منه سـبحانه فـرض علينـا العبادات بألوانها ليقربنا من ساحته ، ويزلفنا من مرضاته ، وهـو مـع ذلك يعطينا على أدائها الجزاء الأوفى !! فاللسان الـذي يلـهج بـالذكر والدعاء والصلاة والتلبية والتكبير والتحميد والتـهليل ، والدعـوة إلـى

الخير هو من صنع العليم الحكيم وبقدرة الله ينطق ويذكر ويدعو ويطيع!! والأعضاء كلها كذلك فمنها ما يركع ويسجد ويقوم ويصوم ويطوف ويسعى ويعمل الخيرات ... ، وهي كلها من صنع الله عز وجل وبقدرته وتوفيقه سارعت إلى الخيرات ، وفعلت القربات .

ويؤكد القرآن الكريم دور العبادات في القرب من الله عز وجل ، واللياذ بساحات رحمته ومغفرته فيقول عز من قائل عن الصلاة: "(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت / ٤٥ . وقال عز وجل عن الزكاة : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة / ١٠٣ . وقال عن الحج : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج . وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة / ١٩٧ .

فالإسلام يهدف إلى أن بالعبد المؤمن المستوى الكامل في الإنسانية ، ويخفف جموحه الغريزي ، وتلك هي اللبنة الأولى في بناء العبد الرباني الطائع الممتثل الذي لا يطغى فيه جانب الغريزة والشهوة على جانب العبودية .

والعبادات كلها تقوي في العابد جانب المراقبة لله عز وجل ، فتجعله مستقيما دائما على طريق الهداية ، يخشى الله عز وجل ، ويعلم أنه مطلع على سره وعلنه ، ظاهره وباطنه ، فيكون حريا بأن يلتزم ما أمره الله عز وجل به ، وما افترضه عليه وأن يجتنب ما حرمه عليه ونهاه عنه ، وأنه محاسب على هذا وذلك دون تفريط أو إغفال . قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة / ٧ ــ ٨ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في قريب من هذا المعنى : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " . فلتجعل أيها العبد المؤمن مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، ولتجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل عبادتك

لمن لا تستغني عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .. !! فإنك إن فعلت ذلك نلت ثواب ربك ، وفزت بجناته . قال عز من قائل : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً) المزمل / ٢٠ . فهدية الله عز وجل لا تتحقق إلا لمن أطاعه ، ووحده وأدى ما أمره الله به واجتنب ما نهاه الله عز وجل عنه، وبالله التوفيق.

ومن معالم الطريق إلى الجنة :

الإخلاص :

وهو من العبادات القلبية ، ويعني خلوص النية وتصحيح القصد، مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى " وهو يشمل سائر الأعمال والطاعات فهو يلزم في العبادات والأفعال والأقوال ، ويقتضي حضور القلب ، وخلوص النية ، ويقظة الضمير ، ومن مقتضى الإخلاص أن تُؤدّى العبادات في حضور قلب ، وخلوص نفس ، وأن يحرص العبد على يعطي أعماله حقها قاصدا بها وجه ربه ، نافيا عنها شوائب الرياء فالعمل بدون إخلاص لا قيمة له ولا وزن .

ويتحقق الإخلاص في الإنفاق ــ على سبيل المثال ــ بأن يكون المنفق مبتغيا بما يقدم وجه ربه لا يريد عليه ثناء من أحد ، أو ذكراً حسنا عند الناس ، فإذا فقد العمل عنصر الإخلاص حبط عمل صانعه وخاب سعيه ، قال تعالى في بيان العمل الذي فعله العبد مبتغيا به وجه ربه: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) الإنسان / ٩ . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصا ، وفرقة يعبدون الله رياءً ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس . فإذا جمعهم

الله يوم القيامة قال ــ سبحانه ــ للذي يستأكل الناس : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل بها الناس . فيقول سبحانه وتعالى : ما ينفعك ما جمعت . انطلقوا به إلى النار ثم يقول سبحانه وتعالى للذي كان يعبد رياءً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال : بعزتك وجلالك أردت رياء الناس . فيقول سبحانه : لم يصعد إليَّ منه شيء.

انطلقوا به إلى النار . ثم يقول سبحانه وتعالى للذي كان يعبد الله خالصا: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم مَنْ أردتُ به !! أردتُ به ذكرك ووجهك . فيقول سبحانه وتعالى: صدق عبدي . انطلقوا به إلى الجنة " .

ومما يؤكد أهمية الإخلاص وأنه هو الذي يعول عليه في قبول العمل، وتحقق الفوز برضوان الله عز وجل حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " . وهناك آثار كثيرة تؤكد هذه الحقيقة منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : جاء أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله قائلا : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "

والإخلاص كما يفهم من آيات الذكر الحكيم وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم يتحقق بأن تكون أعمال الإنسان وحركاته وسكناته مقصوداً بها وجه الله ، ومطلوبا بها رضوانه ، قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الزمر / ٢ ، ٣ . وقال عز من قائل :

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة / ٥ .

فلابُــدَّ في العبادات من ابتغاء وجه الله ومرضاته حتى تكــون مقبولة عند الله ، وكذا الحال في سائر الأعمال أيضا فالإخلاص في كــل ما يعمله العبد شرط لقبوله ونوال ثوابه ، فحين تصدق النية فــي هــذا الإتجاه وهو العمل بإخلاص بكل عمل وبكل فعل بدون أى نفاق أو ريــاء بل تأديتها باخلاص وضمير وخوف من الله فيكون عمل الإنسان وقولــه وجهاده لا قصد له إلا وجه الله والدار الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ويبارك الله له في رزقه وفي عمله ، وفــي عيشه ، وفي حياته ــ قال عليه السلام : " إن الله يحب إذا عمل أحدكــم عملا أن يتقنه " .

فالمعلم الذي يبذل علمه لأبنائه وتلاميذه بإخلاص وضمير ولا يبتغــى المكافأة إلا من الله يجزيه الله الجزاء الأوفى . قــال تعــالى : (ولِكُــلٍ درجاتٌ مما عَمِلوا وما ربُّكَ بغــافِلٍ عمــا يَعملــونَ) الأنعــام / ١٣٢ . والعامل الذي يؤدى عمله بإخلاص وضمير وخوف من الله يبــارك الله له ويعينه ويوفقه . والزارع في حقله حين يؤدى عمله من زرع وحــرث وجهد بإخلاص وتوكل على الله يؤتيه الله زرعه مضاعفا ، وهكذا فــي جميع الأعمال يكون الإخلاص أساس السعادة في الدنيا والآخرة . قــال تعالى(وقُلْ اعملُوا فسيرى اللّه عَملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة/١٠٥.

لقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة فلم يحرم أحدا من الجزاء بل هــو يحاسب الجميع ويوفى كلاً على حسب نيته وإخلاصه ، فالمســلم الــذى يؤثر دينه على دنياه ، ومروءته على هواه ، ويعمل ما اســتطاع علــى تطهير قلبه وتزكية نفسه ، حتى تضيء وتشف وتواجه الناس بما فيــها من طهر وبما تفيض به من خير فهذا هو المؤمن الــذى يريــده الديــن ويبشره بالفلاح ، فديننا يحث على إتقــان العمــل وإجادتــه وتطويــره بإخلاص وخوف ومراقبة لله ؛ طمعا في رضاه ، وامتثالا لأمره ، قــال تعالى : (قد أفلح منْ تزَكّى وذكرَاسْمَ ربه فصلّى) الأعلــى / ١٤ ، ١٥ .

وقال في آية أخرى : (ونفسٍ وما سَوَّاها فألهمها فُجُورها وتقوَاهــا قد أفلح منْ زَكَّاها وقد خَابَ من دَسَّاها) الشمس / ٧ ــ ١٠ .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولانا في الدنيا والآخــرة ، وأن يجعلنا من السابقين للخيرات أينما كنا وأن يجعلنا ممن أذا أعطــوا شكروا ، وإذا لإبتلوا صبروا ، وإذا أذنبوا استغفروا فإن من رزق هــذه الخلال فقد رزق الخير كله ، ونال السعادة من أقطارها . إنــه سـبحانه وتعالى قريب مجيب الدعاء !! .

مــا هـــو الإسلام ؟

هو دين الله وخاتم الرسالات . قال تعالى : (أفمن شرح اللّه صَدْره للإسلام فهو على نور من ربه) الزمر / ٢٢ . وهو دين الفطــرة التــي فطر الله الناس عليها وهو العقيدة الصحيحة ، وديــن المنــهج القويــم ، والشريعة الغراء ، التي راعت مصالح العباد ، وسعادة البشر في دنيــاهم وأخراهم ، وهو دين السلام والوئام ، دين العفو والسماحة ، دين القــوة والرحمة ، دين الرأفة والعطف ، دين السلوكيات القويمة ، دين الخــير ، دين اليسر . قال تعالى :

(يُريــدُ اللّهُ بِكُــمُ اليُسْر ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ) البقرة / ١٨٥ .

وجوهر العقيدة الإيمان بوحدانية الله ، لأن التوحيد الخــالص هــو لباب الرسالات السماوية كلها ، وهو عمود الإسلام وشــعاره الــذى لا ينفك عنه ، وهو الحقيقة التي ينبغى أن نحرص عليها ونصونها من كــل شائبة ، وكلما ذكرنا الله في عليائه انتقل ذهننا إلى محمد عليــه الســلام الذى قادنا وهدانا إلى سبيل ربنا ، وعلمنا كيف نعبده ونخشــاه ونعمــل لمرضاته .

والإسلام هو شريعة الخلود ، وشريعة الإنســانية جــاء بــالعقيدة الصحيحة ، وهى الإيمان بالله وحده لا شــريك لــه ، وبــاليوم الآخــر

والخوف منه سبحانه ، والإعتقاد الجازم بأن وراء الموت حساب وعقاب ، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، فالعقيدة نفسها كانت كالنور الوهاج يجذب اليه الأنظار فدخلت أفواج الناس في الإسلام عن رضا وارتياح .

وللإسلام منهج ذو خصائص متميزة من ناحية التصور الاعتقادى ومن ناحية الشريعة المنظمة لإرتباطات الحياة كلها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية ومن ناحية القواعد الأخلاقية التى تقوم عليها هذه الإرتباطات فهو ليس منهج إنسان ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظام جنس من الأجناس بل هو منهج الله للحياة البشرية ، ولخير البشرية جاء هذا المنهج يوم جاء .

ولقد دعا الإسلام إلى إشاعة السلم والود بين الناس ؛ من أجل سعادة البشرية ورخائها ولم يشرع الحرب إلا للدفاع عن العقيدة ، والوطن إذا عجز السلام عن إسترداد الحقوق الضائعة . قال تعالى :

(وإنْ جَنحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لها وتوكَّل على اللَّه) الأنفال / ٦١ .

والإسلام يدعو المسلمين إلى المودة والتراحم بينهم ، ويرعى حسن الجوار بين الأفراد والجماعات . كما يرعاه مع غير المسلمين مم لا يناصبون المسلمين العداء .

والإسلام يمجد القوة حيث ينبغى أن تكون ، ويمجد الرحمة حيث ينبغى أن تكون ، فهو يكره الخنوع والمذلة والإستضعاف ، ويطالب المسلم أن يعيش بين الناس عبداً لله وحده . لا يذل لغيره ، ولا يخضع لسواه.

ومن أنبل وأسمى مبادئ الإسلام المساواة بين الناس وعدم التفريق بينهم على أساس العنصر أو اللون أو الجنس ، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . ويسجل القرآن الكريم هذا الدستور الرائع في قوله عز شأنه: (يا أيُها النَّاسُ إنا خَلَقناكُم من ذكَرٍ وأنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائِلَ

لِتعارَفُوا إنَّ أكرمَكُم عند اللَّه أتقاكُم إنَّ اللَّه عليمٌ خبير) الحجرات / ١٣ . وهكذا يضع الإسلام أسس المساواة الحقة، والعدالة المطلقة وهو بسماحته لم يقف من أهل موقف العداء ، بل أمر أن ندعوهم بالتي هي أحسن ، وأن نبذل لهم النصح ، ونجتهد في تذليل سبل الهداية لهم .

كما أمر الإسلام باحترام المسلم لحقوق أخيه الإنسان ، والوفاء بالعهود التى لا تحل حراماً ، ولا تحرم حلالاً ؛ لأنها الضمان لحياة إنسانية مثلى في مجتمع بشري تتصارع فيها الأهواء والشهوات والأطماع ، وهو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية ، وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود لأنها قاعدة الثقة التى ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم.

ومن الوفاء بعهد الله : قول الحق ، والحكم بالعدل ، ولو كان المحكوم له ذا قربى . ومنه أيضا توفية الكيل والميزان بالقسط . وألا تقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن . وقبل ذلك كله ومعه ألا نشرك به شيئا ، فهذا هو العهد الأكبر المأخوذ على فطرة البشر بحكم خلقتها متصلة بمبدئها ، شاعرة بوجوده في النواميس التى تحكمها كما تحكم الكون من حولها .

ومن ميزات الإسلام ومحامده أنه يدعو أتباعه إلى التحلي بالأخلاق الكريمة التى تثمر الأمن في ظلال الإيمان ، ونور العلم وهى كل ما يختص بتربية النفس وآداب السلوك مما يجب على المرء لسداده في دينه أو نجاحه في دنياه : كالصدق ، والأمانة ، والصبر ، والحلم ، والشجاعة ، وحسن المعاملة ، وحسن الجوار ، وإقبال المرء على ما يعنيه وترك ما لا يعنيه .

ومنها كذلك أنه أمر بالعدل الذى يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ، ولا تتأثر بالحب والبغض ،

ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف إنما تمضى في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع وتزن بميزان واحد للجميع .

وكما حث الإسلام على الفضائل وحبب فيها نهى عن الرذائل ونفر منها، فنهى عن كالحسد والوشاية والأنانية ، والطمع ، والحرص على متاع الدنيا وزخارفها الفانية .

كما نهى الإسلام عن الفحشاء والمنكر والبغى ، فالفحشاء كل أمر يتجاوز الحد والمنكر كل قول تتكره الفطرة ، ومن ثم تتكره الشريعة فهى شريعة الفطرة ، والبغي : الظلم وتجاوز الحق والعدل . ولأن الإسلام هو دين الله الحق ، وخاتم الرسالات لم يترك الإنسان في أى درب من دروب الحياة وحده يعتمد على التجربة والخطأ ولكن الله عز وجل أراح البشرية من هذه النزاعات فحدد معالم الحياة وطريق الوجود.

والإسلام في سبيل تحقيق المجتمع المثالي لم يعمد إلى الترهيب أو العقاب ، بل راعى قبل ذلك الترغيب والوقاية من الشرور والانحرافات، ومن مظاهر ذلك أن الإسلام لم يحارب الدوافع الفطرية بل نظمها لكي يضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة ؛ وحتى تضيق فرص الغواية ، وتخمد بواعث الفتنة .

والإسلام كما نرى هو أكمل نظام عرفته البشرية ، إذ يمثل أرقى ما وصل إليه المصلحون في تحقيق العقد الاجتماعي الصيح الذي يرعى صالح الجميع دون تمييز أو تعصب ، ودون غمط للحقوق أو افتئات على المستضعفين ، وهو لم يقم أسسه على مراعاة جانب من حياة الناس دون الجانب الآخر ، فلم يدع إلى الاهتمام بشئون الحياة الآخرة على حساب الحياة الدنيا العاجلة ، بل عدل بين القسمين وسوى بين الجانبين ، قال تعالى : (ولا تَنسَ نصيبكَ من الدُّنيا) القصص / ٧٧ .

والإسلام اعتقاد وإيمان صحيح ثم هو عمل وعمارة للأرض قال

مايزال هو هو في حقيقته وأصل فطرته ، والقرآن هو خطاب الله لهذا الإنسان خطاب لا يتغير ؛ لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقا آخر .

امتد نزول القرآن على رسول الله ثلاثة وعشرين عاماً والرسول يدعو بما جاء به ، ويعمل بما أنزل فيه ؛ لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وحثهم على الإيمان بالله الواحد والإيمان باليوم الآخر . وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو نور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وهو مع ذلك الحد الفاصل بين الكفر والإيمان . وهو روح الدعوة ، وباعثها ، وهو قوامها ، وكيانها ، وهو حارسها وراعيها ، وهو ترجمانها وبيانها !! .

وللقرآن أسماء تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته فسمي القرآن ، قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ) الإسراء / ٩ . وسمي الفرقان كما يؤخذ من قوله جل شأنه : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان / ١ . قيل : لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الحلال والحرام . وسمي أيضا الذكر ، من التذكر والشرف (وإنه لذكرٌ لك ولقومِكَ) الزخرف / ٤٤ . أي إن القرآن لشرف لك ولقومك .
وسمى قرآنا لجمعه الأحكام والقصص والمواعظ والأمثال .

ومن آداب القراءة في كتاب الله أن يكون القارىء متطهرا ومستقبلا القبلة ومتحريا أفضل الأوقات كالليل وبعد الغروب وبعد الفجر . قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قُرآن الفجر كان مشهودا) الإسراء / ٧٨ . والتلاوة لكتاب الله على النحو الأمثل تعنى شيئا آخر غير مجرد المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، بل تعنى تلاوته عن تدبر ينتهى إلى إدراك وتأثر وإلى عمل بعد ذلك وسلوك ، ولقد نزل القرآن لهذا الغوض ليتدبر المسلم آياته ، ويتفكر فيما فيه من الوعد والوعيد والثواب

قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تـدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتـى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكّرونَ) النـور / ٢٧.
والإسلام ينبذ الجشع والعدوان على مقدرات الآخرين ، ويدعـوا إلـى مواساة الفقراء والمعوزين وألا يغفل القدرون عن إعطائهم حقـهم فـي الأموال بأداء الزكاة ، وبذل النفقات المتنوعة .

والإسلام دين القيم والآداب العامة ولقد وضع هـذه القيـم السـامية موضع التنفيذ ومنها الحث على عيادة المريض . قال عليـه الصـلاة السلام : " عائد المريض في مخرفة الجنة ـــ والمخرفة هى البسـتان أى طريق بين صفين من النخيل ـــ إن الله عز وجل يقول يوم القيامـة: يابن آدم مرضت فلم تعدني ! فيقول : يارب كيف أعـودك وأنـت رب العالمين ؟ فيقول رب العزة : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعـده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ! " .

والإسلام دين التكافل الإجتماعى فلا يسوغ في النظـام الإسـلامي المعترف بع أن يموت الفقير جوعا ، في حين يهلك الغنيُّ تخمة ، ولذلـك فرض الإسلام الزكاة والصدقات على مختلف أنواع الـثروات . قـال تعالى : (لنْ تَنَالوُا البرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحبونَ) آل عمران / ٩٢ .

والإسلام لم يقف عند حد تقرير المساواة بين الرجل والمـرأة فـي الأمور الدينية بل ساوى بينهما في الحقوق المدنية ، فللمرأة ذمتها الماليـة الخاصة كما أن لها أهلية التصرف الكاملة فيما تملـك كـالرجل سـواء بسواء ، كما جعل لها الإسلام نصيبا مفروضا في الميراث . قال تعـالى: (يُوصيكُمُ اللّهُ في أولادِكم للذكرِ مثلُ حظ الأنثيين) النساء / ١١ .

ومن محامد الإسلام وميزاته أنه جعل كل تشريعاته وآدابه أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ، إذ تصير هذه وتلك بالنسبة للمسلم دينا يرتضيـه، وسراجا يهتدي به وصمام أمان يرد على النفس طمأنينتـها إذا هزهـا ريب أو إعتورتها شكوك ، فهو دين البشرية الذى يدعـو إلـى التـآلف

والتراحم ، وشريعة تنظم أ حوال المجتمع ومســـاواة تربــط بيــن الناس ، فالأهداف العليا للإسلام : هي الأمـــن والاســتقرار والســلام والمودة والتعاون ، ليلتقي المسلمون عند قوله تعـــالى : (واعتصمــوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران / ١٠٣ .

والإسلام طالب الإنسان بأن يتعلق برب الكـــون ومليكــه ، ويلــوذ بكنفه، ويلجأ إلى حماه ، وأن يرحل من ضعف المخلـــوق إلـــى قــدرة الخالق ومن الأكوان إلى المكوِّن ودوى التوجية الإلهى يســتفز العقــول ويغزو القلوب والأرواح في قوله تعالى : (وأنَّ إلى رَبِّــكَ المنتــهى) النجم /٤٢ .

لقد بزغ الإسلام في الجزيرة العربية في حقبة مظلمة تفشـــت فيــها الفوضى والهمجية عرفت بالجاهلية ، حتى بلغ الأمر بالآباء حد التوحـش والقسوة أن يئدو الواحد منهم بنته وقد ظلت هذه العادات سائدة إلــــى أن نزل القرآن فندد بها وأغلظ على مرتكبيها قال تعالى : (وإذا المَــوءُودَةُ سُئِلَتْ . بأيِّ ذنب قُتلت) التكوير / ٨،٩ بل لقد جعل الإسلام القتل جــزاء لمن يرتكب هذه الجريمة النكراء هذا هو الوضع الذى قلبه الإسلام رأســا على عقب لا قبل الإسلام بل وبعده بأربعة عشر قرنا فكان أول ما قــدره القرآن أن البشر إنما يدين في وجوده إلى الرجل والمرأة مجتمعين فرفــع هذه المظالم عن المرأة وأعاد لها اعتبارها في الإنسانية . قـــال تعـــالى (يأيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعــارفوا) الحجرات / ١٣.

ولقد وقف الإسلام من العلم موقـــف التقديـــر والإعظـــام ، وحــث المسلمين على طلبه ، والاغتراب في سبيل تحصيله ، والقـــرآن كتـــاب الإسلام المجيد يوجه المؤمن إلى هذا الدعاء : (وقل ربي زدني علما) طه /١١٤ . ولا يقتصر الأمر على العلوم الدينية وحدهـــا ، بــل يمتــدُّ ليشمل المعرفة في شتى آفاقها وفنونها وميادينها .

ومما يميز الإسلام أنه لا يكره الناس على اعتناقه ، بل يدعوهم إلى ساحته ، ويحببهم في هديه بالإقناع والترغيب . قال تعالى مخاطبا رسول الهداية محمداً صلى الله عليه وسلم : (أدْعُ إلى سَبيلِ ربكَ بالحِكْمة والموعظةِ الحسنة وجَادِلهُم بالتى هِىَ أحْسَنُ) النحل / ١٢٥ . وبهذه الدعوة الحسنة انتشر الإسلام شرقاً وغربا ، وكانت القدوة السلوكية للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته الذين حملوا لواء الدعوة من حوله هي أنجح الوسائل في تحول الناس إلى الإسلام عن رغبة وطواعية دون قسر أو إجبار .

جاءت شريعة الإسلام لتحفظ للإنسان أهم حقوقه ، وهي حفظ الدين، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل باعتبارها جوهر حقوق الناس ، ويترتب على حفظها الطمأنينة في النفوس فينصرف الناس إلا تحقيق معنى العبودية لله في الأرض في جو من الأمن الخالص .

والإسلام يدعو إلى السلوكيات الحميدة ؛ لأن الأخلاق العليا هي الأساس لرفعة الأمم ، ولا رقي لها بدون الخلق القويم :

وإنما الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والإسلام يحث المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى ، ويبعث فيهم الإحساس بالقوة والعزة ؛ لأنهم على المنهج القويم ، كما ينهاهم عن التشتت والفرقة .

* * * * *

ولعلنا بعد كل ما ذكرناه عن محامد الإسلام ومعالي خصاله وآدابه وهديه بحاجة إلى أن نكرر القول عن أن الإسلام سبق كل النظم التقدمية، وشرع للناس أكمل نظام ، وأروع تشريع ؛ لأنه من رب الأرباب ، الذي خلق الخلق وهو بهم عليم ، يعلم ما فيه نفعهم وصلاح أمرهم ، فلا يشرع لهم إلا ما ينفعهم ، ويصحح مسيرتهم ، ويضمن لهم السلام والأمن ، ويعطي كل ذي حق حقه ، وبه يسعد الناس ، وعلى

هدي تشريعاته ينال كل صاحب حق حقه ، ويأخذ كل عامل جــزاء عمله، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمـــي علـــى عربـــي ، ولا لأبيض على أسود ، بل الكل سواسية ، هم جميعا أمام عدل الله ســواء ، أكرمهم عند الله أتقاهم له ، وألزمهم لطاعته ، وأحفظهم لعهده ، وأكثرهم تمسكا بمنهجه . ومن هنا كان التمسك بمباديء الإسلام وهديه هو الـــذى يجعل للحياة الإنسانية هدفا غاليا ، وغاية نبيلة ؛ لأنه يفتح طريقا رحبـــا فسيحا من القيم الفاضلة التى تقود الإنسان إلى حياة طيبة في الدنيا وإلـــى حياة باقية خالدة وإلى جنة عرضها السّــموات والأرض ، ولـــهذا كـــان فضل الله على الناس عظيما ورحمته بهم واسعة ، حين تعهدهم بالهدايـــة الربانية ؛ ليصححوا بها خطأ العقل والحواس ، ويُقومـــوا علـــى هديـــها انحراف الغريزة ، وجموح الأهواء .

والإنسان السوي في نظر الإسلام هو ذلك الذى يجمع القلب الصالح، واللسان الصالح ، والجوارح الصالحة ، وعن طريق تحقق تلك الأمـــور في المسلم فرداً ومجتمعا تصل الإنسانية إلى هدفها الأســـمى ، وغايتـــها انبيلة ، وتنعم بالسعادة في الدنيا والفوز في الآخرة .

والإسلام منهاج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارهـــا ومراحلها وفي كل علاقاتها، وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وســـكناتها. ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة كما يتولى بيـــان التكـــاليف العامة الكبيرة ، وينسق بينها جميعا ويتجه بها إلـــى الله فـــي النهايـــة ، ودستور الدعوة الإسلامية سبيل كل سلام، وحرية إختيار لا إجبـــار ولا إكراه بعيد كل البعد عـــن الدمـــاء، بـــريء كـــل الـــبراءة مـــن شـــهر السيف لإخضاع الحكام الظالمين وثلّ عروشهم ، وإنقاذ البشـــرية ممـــا أوقعوه عليهم من ظلم وبطش، ولم تكن الفتوحات في واقعـــها لتحويـــل غير المسلمين إلى الإسلام إنما كانت لتوسيع نطاق الســـيادة الإســـلامية التى هى سيادة الله ، ومن هنا كانت حروب المسلمين للدفاع والوقـــوف

أمام أعداء الدعوة ، وجهاد من يقف في سبيلها ويصد الناس عنـــها، والإسلام الحنيف - كما يعلم الجميع - نهى عن الإكراه في الدين ولذلـك عاش المسلمون مع غير المسلمين في وطن واحد - وهكذا إنتشر النــور في الظلم في بقاع الأرض فلم يفرض نفسه بالقوة، ولكن فــرض نفســه بسماحته وقربه إلى النفس البشرية التى رأت فيه أنه يربط بينها وبين الله ويهديها سبيل الرشاد، والهداية في الدنيا ، وطريق النور والنجـــاة فـــي الآخرة. اللهم صلى وسلم على من هدانا لطريق الحق والنور اللهم صلى وسلم على الرحمة المهداة للعالمين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

حياة النبي قبل البعثة

إنه خير الخلق ، وأكرم الرسل ، ومعلم البشرية !! . وهو الصـــادق المصدوق الهادى البشير ، الرحمة المهداة ، المبعوث رحمة للعالمين .

وُلِـــدَ عليه السلام بمكة صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيـع الأول عام الفيل الموافق العشرين من إبريل ســنة ٥٧١ م . دار عمـــه عقيل بن أبي طالب وفي مولده حدثت معجزات ، إذ ولد عليـــه الســلام ساجدا رافعا إصبعه إلى السماء كـــالمتضرع إلـــى الله المبتـــهل إليـــه ، واختار له جده عبد المطلب اسم (محمد) وهو اسم لم يكن شائعا عنـــد العرب ، ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمه إياه.

وأبوه عبد الله بن عيد المطلب من بني هاشم التى سادت العــــرب ، وأخذت مكانها في الرياسة والشرف ، وسدانة الكعبة وخدمـــة بيـــت الله الحرام ، وقال عليه السلام : إن الله إصطفى العرب من ولد إســـماعيل عليه السلام واصطفى كنانة من العرب ، واصطفى قريشا من كنانـــة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار " . والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

ورسول الله صلى الله عليه وســلم هــو محــد بــن عبــد الله بــن

عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معَدّ بن عدنان .

مات أبوه عبد الله وهو في بطن أمه آمنة بنت وهب له شهرين، وماتت أمه وعمره ست سنوات. فكفله جده عبد المطلب وكان يرعى الغنم في البادية وهو صغير حتى بلغ عمره ثماني سنوات وتوفي جده عبد المطلب، وفي هذه السن اكتسب الرحمة ولين الجانب ، ثم كفله عمه أبو طالب حتى بلغ اثنتي عشرة سنة فأخذه معه في تجارة إلى الشام.

وهكذا نبتت من حرارة اليتم ووحشة العزلة ، وانقطاع العطف والحنان من الوالدين صفات الصلابة ، والاستقلال ، والعطاء ، والقدرة على التحمل ، والإرادة القوية ، والتحدى الذى لا حدود له ، وبالفقر والحرمان تربى ونما بعيدا عن الغنى وحياة الرفاهية ولقد اختاره الله سبحانه وتعالى ، ورباه على عينه ، وأراد أن يكون يتيما فقيرا ، وبذلك شب محمد يحمل مقومات الشخصية القوية مضافا إليها ما إستشفه مَن خبرات الحياة الخشنة التى واجهها ، وتجاربه التى مر بها في الأسفار ، والاشتغال بالتجارة ، فعرف الناس وطبائعهم وكيفية التعامل معهم . ومن يتمه استبان للبشر سمو الرعاية الإلهية التي اكتنفت من لا حول له ولا قوة ، ولا جاه ولا سلطان

حتى أصبح معلما للبشرية ، وهاديا إلى الله بإذنه !! .

واصطفاه ربه أميا لا يقرأ ولا يكتب ليكون أدخل في الإعجاز، وأدعى إلى العجب إذ يكون معلما لأساطين الفلاسفة والمفكرين: (ذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاء واللهُ ذو الفضلِ العظيم) الجمعة / ٤ .

ولما كان أبرز ما في شخصيته صلى الله عليه وسلم الصدق والأمانة إختارته السيدة خديجة بنت خويلد ، وهي أرملة ثرية من قريش ليتاجر لها في مالها ، فكان أمينا على مالها ، صادقا في معاملتها ، فربحت

تجارتها ، وأعجبت به آمنة لصدقه وأمانته وحسن خلقه ، فبعثت برغبتها في الزواج منه ، وكانت قد رفضت قبل ذلك كثيرين من وجهاء قريش الذين تقدموا طالبين الزواج منها ، ولكنها فضلت محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقالت في أسباب ذلك : " يابن العم . إني قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك " وقبل محمد صلى الله عليه وسلم الزواج منها بعد أن عرض الأمر على عمه أبي طالب الذي بارك ذلك الزواج ، ودفع لابن أخيه الصداق .

وكان عمره صلى الله عليه وسلم عند زواجه من خديجة رضي الله عنها خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها أربعين سنة . وقد دام زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة خمسا وعشرين سنة ، أنجبت منه خلالها أكثر أولاده ، إذ أنجبت له من البنين : القاسم ثم عبد الله وقد توفيا صغيرين ، ومن البنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ولم يتزوج عليها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال عشرتها له ، وكان يحبها ويذكر تأييدها ومساندتها له عندما بدأ تكليفه بالرسالة ، وقد تحملت معه صنوف المعاناة ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، وكان قد مضى على البعثة عشر سنوات ، وسميَّ عام وفاتها عام الحزن، وأثنى عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكان مما قاله عنها: " ما رزقني الله خيرا منها ؛ آوتني إذ قطعني الناس ، وأعطتني من مالها إذ حرمني الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس .. " . وهذا وفاء من رسول الوفاء ، وإحقاق للحق واعتراف بالجميل، وكلها من شيم الكرام!!

أما حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقد كان مثال الإنسان الملتزم ، ولم يكن في حياته ما يجعله ذا طبيعة مختلفة عن حياة الناس في بيئته ، فلم يعرف بثروة طائلة ، أو قدرة خارقة ، بل كان ما يميزه هو حسن الخلق ، وكانت ثروته الحقيقية من الفضائل وكريم الشيم ،

واجتمع في شخصيته كل ما يعرف العرب من نبل ومروءة ، وصدق وأمانة ، وعقل ورزانة ، وكان نقي المعدن ، حسن السيرة ، طيب الأحدوثة ، يُعرف بكل خير ، يكابد السعي طلبا للرزق ، فيرعى الغنم صغيراً ، ويضرب في الأرض كبيراً ... ، ولمنزلته صلى الله عليه وسلم عند قومه قبل البعثة رضوا به حكماً عندما جددت قريش بناء الكعبة بعد تصدع جدرانها ، فعندما اختلفوا فيمن يرفع الحجر الأسود ليضعه في موضعه وكادوا يتقاتلون احتكموا إلى أول داخل عليهم من باب بني شيبة ، فكان القادم هو محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه استبشروا وقالوا : هذا هو الأمين . رضيناه حكماً ! وقد سَمى الله عز وجل مكة البلد الأمين ، وهي البلد الذي ولد فيه وبعث في أهله أشرف الخلق محمد عليه صلوات الله وتسليماته .

وهكذا اصطفى الله رسوله محمدا من خلقه، ورفع له ذكره، وشرح صدره، وأعلى شأنه ، فكان نعم المصطفى والمجتبى، وأدَّبه فأحسن تأديبه، ووجده يتيماً فآوى ، ووجده ضالا فهدى، ووجده عائلا فأغنى!! فاللهم صل وسلم على خير خلقك وخاتم رسلك وسلم تسليما كثيرا.

النبي والوحي:

لـمَّا قارب عمر محمد صلى الله عليه وسلم الأربعين حُببت إليه الخلوة والانعزال عن الناس ، والتدبر في كون الله الفسيح ، فكان يأخذ بعض الزاد ويذهب إلى غار حراء في شهر رمضان من كل عام ، وكان يمضي وقته في التأمل والتفكر والدعاء ... ، وفي ذات ليلة رأى رؤيا أن قلبه قد أخرج من جوفه فطهر وغسل ثم أعيد إلى موضعه كما كان ، فلما أخبر خديجة بذلك طمأنته وهونت عليه وبشرته خيرا .

وذات يوم بينما هو في الغار نزل عليه جبريل الأمين ، وقال له إقرأ فقال محمد ما أنا بقارىء . فضمه جبريل إلى صدره وقال له : إقرأ !!

فقال محمد ما أنا بقارىء فضمه جبريل الثالثة وقال لـــه : (إقــرأ بسم ربِّكَ الذَّى خلقَ) العلق / ١ .

ومن فرط ما أصابه من الجهد الذي لقيه مع جبريل ذهـــب لزوجتــه خديجة وهو يقول لها : دثريني ! دثريني ! ولما أخبرهـــا بمـــا حصـــل ذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عمها وكان نصرانيا يقـــرأ الكتـــب وأخبرته بما حدث لمحمد زوجها فقال لها ورقـــــة : قـــدوس . قـــدوس والذى نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر وهو جبريل الذى كــــان يأتى موسى . وإن محمداً لنبى هذه الأمة !! . وفي يوم خرج محمد إلـــى الغار كما كان يفعل ويتأمل ويتفكر ثم خرج منه حتى إذا كـــان وســـط الجبل سمع صوتا من السماء يقول له : يامحمد . أنت رســول الله وأنـــا جبريل . واستمر محمد واقفا ينظر إليه . ثم ذهب محمد إلـــى خديجـــة وأخبرها بما حصل فأشارت إليه أن يأخذ صديقه أبا بكر ويذهب إلــــى ورقة بن نوفل . فقال ورقة يا محمد كيف يأتيك الـــذي يـــأتيك ؟ قـــال محمد: يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر وإذا خطـــوت سمعت نداء خلفي يقول يا محمد أنت نبي هذه الأمـــة وأنـــا جـــبريل . فطمأنه ورقة وقال له كما قال له قبل ذلك ، ثم انقطع الوحى من محمـــد مدة ثلاث سنوات فحزن الرسول وبينما كان يمشى محمد في شـــعاب مكة رأى الملك الذى يأتيه على كرسى بين الســـماء والأرض ، ففـــزع وذهب إلى خديجة وقال لها : زملوني !! فزملته فجاءه جبريل وقال لـــه : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) المزمل / ١ . ورأت خديجة محمـــداً كأنه يصغي لأحد يناجيه ، وقد تثاقلت أنفاسه ، والعـــرق يتســـاقط مـــن جبينه ثم سُرّي عنه وكأنه يستعيد ما سمع . وهو قول الحق جل وعـــلا : (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فـــاهجر ...) المدثر / ١ ــ ٥ .

وكـــبَّـــر هو وزوجته خديجة وعلمت أنه الوحـــي مـــن الله تعـــالى

وذهب محمد إلى ورقة وأخبره فقال له أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنه الذي بشر به بن مريم عيسى عليه السلام ، وأنك على مثل ناموس موسى عليه السلام ، وأنك نبي مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد . فرجع محمد وقال لخديجة ــ قد أمرني جبريل أن أنذر الناس وأدعوهم إلى الله وإلى عبادته فمن أدعو ؟ ومن يستجيب ؟ فكانت خديجة أول من آمن وقالت بصدق ــ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم آمن أبو بكر ثم على بن أبي طالب ــ

ولم يكن محمد عليه السلام أول نبي خاطب الناس باسم الوحي قال تعالى :

(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحيٌ يُوحى) النجم /١ ــ ٤ .

فالله سبحانه وتعالى يبعث كل رسول بمعجزة تلائم قومه ، وما برعوا فيه ، وظنوا أنهم بلغوا مبلغ خوارق العادات حيث كانوا على جهالة عقلية بدائية ــ فأراد الله أن ينقذ البشرية والإنسانية المعذبة فأرسل محمداً للناس كافة والعالم أجمع هاديا ومبشرا ونذيراً ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأنزل الله القرآن المعجز دستور البيان ، ومصدر العلم والفرقان ، ونزل القرآن عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام . قال تعالى : (وإنه لتنزيل ربِ العالمين . نزل به الرُوحُ الأمينُ على قلبك لتكونَ من المُنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء / ١٩٢ ــ ١٩٥ .

وكان جبريل يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة رجل ويطمئنه بالقول ولا يروعه فيعى ما يقوله . قال تعالى : (إنه لقول رسولٍ كريم . ذى قوةٍ عند ذِى العرشِ مكينٍ . مُطاع ثَم أمينٍ) التكوير / ١٩ ــ ٢١ . وفي أحيان أخرى كان يأتيه الملك في النوم ، فما كان الرسول يلبث أن يأوي إلى فراشه ويغفو إغفاءة حتى ينهض ، ويرفع

رأسه مبتسما كما حدث في سورة الكوثر وهذه هي الرؤيا الصادقة ، ويقول الرسول رؤيا الأنبياء حق ، ونحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا .

وتلك هي مراتب الوحي التى يبلغ الله بها أنبياءه ما يوحى إليهم به من مبادىء وتعاليم الرسالة التى سينهضون بها لكى يقوموا بدورهم بتبليغها إلى الناس .

وهذه المراتب كلها تدور حول استقراء المعانى وتثبيتها في قلوب الأنبياء، لكي يصبروا على تبليغها ، ويتحملو في سبيل ذلك المشقة والعناء.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام عندما أول من اهتدى بهدي ربه ، وتخلق بخلق القرآن ، وبما تضمنه من صدق وجلال ، وخير ، ومرحمة وهو الرجل الذى خلت فطرته من شهوات الأرض فانتشرت في أرجائه الباطنة ومضات الوحي فهي تبرق في شمائله ومسالكه كما تتلألأ الآفاق في صحوة صافية . وكان الرسول عليه السلام أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومن ثم اتخذ لنفسه كُتابا يكتبون عنه ما نزل عليه من الوحى وهو عليه السلام سيد الحفاظ دون منازع وأول الذين جمعوا القرآن فقد كان الوحى ينزل ببعض الآيات أحيانا ، وبالسور الكاملة أحيانا أخرى فكان عليه السلام إذا نزل عليه الوحى دعا بعض من كان يكتب فيقول صفوا هؤلاء الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا .

ومن أبرز كتاب الوحي : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى، ومعاوية ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وخالد بن الوليد ، وثابت بن قيس، وعبد الله بن مسعود وكانوا يكتبون على جريد النخل أو عظم البعير أو صفائح الحجارة ، ويجمعونه على الجلد . وبعد موت الرسول عليه السلام قيض لأبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن كله خلال سنة ، وقد أشار علي بن أبي طالب بذلك بعد وفاة أبي بكر في قوله رحم الله

أبا بكر هو أول من جمع كتاب الله بين لوحين ، ثم جُمع القرآن الكريم كله في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في مصحف واحد .

لقد كان مجيء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا على سنوات متواليات ؛ ليزداد شوقه صلى الله عليه وسلم لما يوحى إليه، ويسهل عليه تحمله ، ويكون عونا له في مختلف المواقف والحوادث ، وتلك من أمارات الإكرام وعلو المنزلة . يقول عليه الصلاة والسلام : " ... وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة " . وفي هذا الحديث فضلية عظيمة للقرآن على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى كل كتاب أنزل !!.

النبي محمد عليه السلام ، وبعثه :

لقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم ميلاداً للحق في أبهى صوره، وكان شروق هذا الحق إيذانا بزوال الحيرة، والشقاء المخيم. ففجرت دعوته ينابيع الرحمة بين الناس، وأوضحت لهم طريق النور والهداية والرشاد، إذ أتت بالهدى ودين الحق، فكانت رحمة للعالمين، مصداق ذلك في قوله عز من قائل: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/ ١٠٧.

فقد جاء عليه السلام والعالم يسبح في ظلمات الجهالة والظلم والاستعباد والشرك وعبادة الأصنام . جاء والعرب جزيرتهم قبائل متشاحنة ، يتخبطون في ضلالات الشرك ، ومرذول العادات ، ومن حولهم قوتان عظميان يسودهما الصلف والطغيان ، وهما دولتا الفرس والروم ، يخوضون حروبا لا تكاد تهدأ حتى تثور وتحتدم ، ويسوقون لتسفك دماؤها في صراعات عصبية بغيضة ، فضلا عن كونهم يغطون في جهل شديد ، وفي إباحية وانحلال من الأخلاق والقيم الإنسانية ،

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يحق الحق ، ويبطل الباطل بكلماته ويرسل محمداً وينزل القرآن المعجز هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وليبدد ظلمات الجهل ، وينير للناس سبل الحياة ، ويدعو إلى توحيد الله والإيمان به وباليوم الآخر . فجاءت رسالته عليه السلام تدعو إلى إفراد الله سبحانه بالعظمة والجلال ، والتقرب إليه جل شأنه بصدق الإيمان ، وصالح الأعمال وأنه الواحد ليس له شريك . ثم كان عليه السلام قدوة دائمة لأتباعه وأسوة حسنة لمن يحبون الله ويرجون رحمته ، إذ تجرد عليه السلام من كل معاني الغرور والكبرياء ، وهو عبد الله وسيرته قدوة ترمقها بصائر المؤمنين في كل وقت تستمد منها طهارة القلب من الإثم وطهارة العقل من الخرافة .

إنه خاتم الأنبياء برسالته ، وخاتم الرسل فلا نبي بعده ، أيده الله بالمعجزات ، وفضله على سائر الأنبياء ففرض محبته وأوجب طاعته ، وألزم متابعته ، وخصه بخصائص لم تكن لأحد سواه منها ــ الوسيلة ، الكوثر ، الحوض ، المقام المحمود قال تعالى : (ما كان محمداً أبا أحدٍ من رجَالكُم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين) الأحزاب / ٤٠ .

فحبه عليه السلام ركن في الإيمان وآية على صدقه ، وكلما ازداد هذا الحب اقترب المسلم من مرضاة الله واستكثر من طاعته فكان عليه السلام بشارة بعهد جديد في تاريخ البشرية وبدين قويم صالح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، وايذانا بتكريم الإنسان واحترامه ، وخروجا بالانسانية من ظلمة الجهالة إلى نور العلم والإيمان فحقيقة الرسول فوق ما يصف الواصفون ، والأيادي التى أسداها تجعل كل مؤمن مدينا له بنور الإيمان الذى أضاء نفسه وزكاها قال تعالى : (وإنك لتَهدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ) الشورى / ٥٢ . والدعامة الأولى في عظمة المصطفى رحمته الواسعة وقلبه الكبير فقد كان يبذل جهوداً مضنية لهداية الحائرين والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة . وأمام نداء العدالة تذوب كل قرابة ،

ويرتفع صوت العدل فيقول لإبنته فاطمة : " يافاطمة بنت محمد . اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا ".

وأمام العفو والسماحة يقول لكفار قريش وقد وقفوا جميعا أسرى بين يديه بعد فتح مكة : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم : قال اذهبوا فأنتم الطلقاء " !! .

والثناء عليه ينبجس من ينبوع الثناء على ربه سبحانه وتعالى فهو تقرير حقيقة وشكر جميل وأعظم الناس شكرا لله من يحبون رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أشرف الخلائق نفسا وأزكاها معدنا ولأن النعمة التى أفاءها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لا نظير لها في الأولين والآخرين ، فقد نادى سبحانه وتعالى كل نبي باسمه إلا محمداً !! .

فقال لآدم عليه السلام (ويــاآدمُ أسكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجنةَ) الأعراف /١٩ . وقال لنوح عليه السلام : (يا نوح اهبط بسلام منا) هود/ ٤٨. وقال لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : (يا موسى أقبل ولا تخف) القصص / ٣١. وقال لإبراهيم عليه السلام : (يا إبراهيم أعرض عن هذا) هود / ٧٦. وقال أيضا : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) سورة ص / ٢٦. وقال لعيسى عليه السلام : (... يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) المائدة /١١٠ .... ، وهكذا في خطاب الأنبياء والرسل جميعا إلا محمداً صلى الله عليه وسلم فلم يخاطبه بهذا الخطاب بل كرمه وأعلى مقامه ، وقرن عزته بعزة ربه جل وعلا فقال : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون / ٨.

والله قد كرم رسوله بأن أقسم بحياته فقال عز وجل (لعمرك إنَّهُم لفِى سَكرتِهم يعْمَهُون) الحجر / ٧٢. أى بحياتك ولم يقسم بحياة نبي غيره ، والله جعل طاعته من طاعته فقال سبحانه وتعالى : (مَّنْ يُطِع

الرسولَ فقد أطاع الله) النساء /٨٠.
وجعل مبايعته مبايعة لله فقال عز وجل : (إن الذيـــنَ يُبَـايعُونك إنَّمـا يُبايعون الله) الفتح /١٠. ورتب محبته على إتباعه فقال عز وجل : (قـل إن كنتم تُحِبون الله فاتَّبِعُونى يُحبيكُمُ اللهُ) آل عمـــران / ٣١ . وجعـل الله حكمه من حكمه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمونك فيما شجر بينـــهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النسـاء /٦٥ .
وقد جعله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منـــيراً ــ فقال له (يا أيُّها النَّبيُ إنا أرسَلْناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلـــى الله بإذنه وسراجا مُنيراً) الأحزاب / ٤٥ ، ٤٦ .
وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا عابدا لأنه لم يخلق لمتاع الدنيـــا ، ولكنه جاء لإسعاد البشرية ولإنقاذ الإنسانية من الجـــهالات والضـــلالات ولإخراج الناس من الظلمات إلى النـــور ، وليرســـي دعـــائم التوحيـد والإيمان ، ولتكون أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد كلمـــه ربنـــا إذ دعاه إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى أن تجلى عليه فقـــال : " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " من غير واسطة فســـبحانه وتعالى كلم موسى من وراء حجاب بطور سيناء (فلما تجلى ربه للجبـل جعله دكا وخر موسى صعقا) الأعراف / ١٤٣ . وكرم محمـــداً فنـــاداه بأحب الأسماء إليه ولم يناد نبيا بنداء التكريم مثله فقال عز وجل :
(يأيها الرسولُ بَلغْ ما أُنزل إليكَ من ربكَ) المائدة / ٦٧ . وقال ســـبحانه في آية أخرى : (يأيُّها النَّبىُ حَسبُك الله ومن اتَّبعـــكَ مـــن المؤمِنيـــن) الأنفال / ٦٤ .
ويقول صلى الله عليه وسلم : " فُضلت على الأنبياء بستٍ : أعطيـت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنـــائم ، وجعلـــت لـــىَّ الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون ".
والله قد أكمل برسوله الملة وأتم به النعمة ، وارتضى لنا الإســـلام

دينا ــ قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتـــى، ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة / ٣ . ورســـول الله حــامل رســالة السلام إلى البشرية كلها فهو يقول : " إن الله قد جعل السلام تحية لأمتنا، وأمانا لأهل ذمتنا وجعل الله الأمن حقا للمؤمنين "

(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ألئك لهم الأمـــن وهـــم مـــهتدون) الأنعام / ٨٢.

فكان يوم بعثته بداية فتح ، وتكريم ، وتربية ، وتعليم ، وتبيان لعظمـة المولى جل علاه ، ودستور حياة كلها خير ونعيم ، وإنما حاربه الكفـــار لأنهم رأوا فيه الحق وفي الحق دمارهم ، ورأوا فيه العدل وفي العـــدل هلاكهم ورأوا فيه التسامح والمودة والمحبة وفي هذا ضياع لصولجانــهم، وإنهيار لسلطانهم القائم على الظلم والعدوان .

فاللهم صلى وسلم على أشرف خلقك ، وخاتم رسلك المبعوث رحمـة للعالمين .

* * * *

القرآن الكريم الكتاب المعجز

هو معجزة الرسول ، وكتاب الهداية ، وهو دستور الإسلام ، جمع خيرات لا حصر لها ، وفوائد لم تجتمع في كتاب . يبشر بالثواب والمغفرة ، ويزجر عن القبيح والمعصية ، حقيق بأن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد ، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب ، وهو الهداية والنور إلى الطريق الأقوم الذى أمر الله سبحانه وتعالى به المؤمنين وبينه نبينا سيد المرسلين : وهو كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة لا كتاب قصص وتسلية، وسرد أحداث وتواريخ . ثم هو أساس الدين ، وحبل الله المتين ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار ، لا طريق إلى الله سواه . فشرائعه تنشط بها الأذهان ، وتصغى لها الآذان . كما أن فيه الهداية إلى الطريق السويّ ، وإلى الصراط المستقيم ، ويرشد إلى تقوى الله ، أما قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن الكريم فتمثل موكب الإيمان الممتد ، وقصة الدعوة إلى الله وموقف البشر جيلا بعد جيل . كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من أنبياء الله ورسله ، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذى خصهم بهذا الفضل العظيم ، وأنه سبحانه واحد لا شريك له ، وهو المستحق لأن يُفرد بالعبادة فلا معبود سواه قال تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء / ٨٢ .

والقرآن حقيقة ذات كينونة مستمرة كهذا الكون ذاته ، فالكون كتاب الله المنظور ، والقرآن كتاب الله المقروء وكلاهما شهادة ، ودليل على الخالق المبدع

فالكون بنواميسه ما زال يتحرك ويؤدى دوره الذى قدره له بارئه ، والقرآن كذلك أدى دوره للبشر ، وما زال هوهو ، وكذلك الإنسان

مايزال هو هو في حقيقته وأصل فطرته ، والقرآن هو خطاب الله لهذا الإنسان خطاب لا يتغير ؛ لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقا آخر .

امتد نزول القرآن على رسول الله ثلاثة وعشرين عاماً والرسول يدعو بما جاء به ، ويعمل بما أنزل فيه ؛ لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وحثهم على الإيمان بالله الواحد والإيمان باليوم الآخر . وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو نور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وهو مع ذلك الحد الفاصل بين الكفر والإيمان . وهو روح الدعوة ، وباعثها ، وهو قوامها ، وكيانها ، وهو حارسها وراعيها ، وهو ترجمانها وبيانها !! .

وللقرآن أسماء تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته فسمي القرآن ، قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ) الإسراء / ٩ .
وسمي الفرقان كما يؤخذ من قوله جل شأنه : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان / ١ . قيل : لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الحلال والحرام .
وسمي أيضا الذكر ، من التذكر والشرف (وإنه لذكرٌ لك ولقومِكَ) الزخرف / ٤٤ . أي إن القرآن لشرف لك ولقومك .
وسمى قرآنا لجمعه الأحكام والقصص والمواعظ والأمثال .

ومن آداب القراءة في كتاب الله أن يكون القاريء متطهرا ومستقبلا القبلة ومتحريا أفضل الأوقات كالليل وبعد الغروب وبعد الفجر . قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) الإسراء / ٧٨ .
والتلاوة لكتاب الله على النحو الأمثل تعنى شيئا آخر غير مجرد المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، بل تعنى تلاوته عن تدبر ينتهى إلى إدراك وتأثر وإلى عمل بعد ذلك وسلوك ، ولقد نزل القرآن لهذا الغوض ليتدبر المسلم آياته ، ويتفكر فيما فيه من الوعد والوعيد والثواب

والعقاب ، وحامل كتاب الله حامل راية الإسلام . فهو أشـــــرف العلـــوم موضوعا وغرضا ؛ فهو كلام الله ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلـــة، والغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادة الحقيقية ألا وهي معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولا يؤتى الإيمان بالله ثمرتـــه إلا إذا كان مقترنا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، بل يجــــب أن تؤمن كذلك بأن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله أوحـــى إليـــه القرآن بكل ما يدل عليه القرآن من حساب وثواب وعقاب في الآخرة .

اللهم صلى وسلم على أشرف خلق الله سيدنا محمد بن عبـــد الله عـــدد خطوات الخضر بحراً ، وعدد خطوات الخضر براً ، وأبعاد ما ســـــارت الرياح لسليمان عليه السلام طولا ، وأبعاد ما سارت له الرياح عرضـــــا !! وسلم على محمد عبدك المرسل بالرحمة بشيراً وبـــالوعيد نذيـــراً !! الأول نوراً ، والآخر ظهوراً ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

من فضائل القرآن

وللقرآن الكريم فضائل لا تكاد تحصى ، وفيوض خير لا يعلمـــــها إلا الله ، غير أنني أشير هنا إلى بعض ما تيسر لي مما ذكره أهل العلم مـــن فضائل القرآن وبركاته ، وما ينتظر المداوم على تعهده وحفظه وتلاوتـــه، ومن أهمها :

(1 أن القرآن هو البلسم الشافي للقلوب العامرة بحب الله ، والاعتصـــــام يعصمها من الخطأ والزلل .

(2 أنه يقرر وحدانية الله ، ويسوق عليها الدلائـــل البـــاهرة ، والحجـــج الدامغة ، ولا غرو فهي أساس كل اعتقاد صحيح ، وسبيل كـــل هدايـــة حقة. كما يؤكد بما لا موضع للشك معه وجود الله ، وســـعة ملكوتـــه ، وجميل صنائعه .

(3 أن القرآن هو النور المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الشفاء لمن تمسك به ، وسبيل النجاة لمن اتبع هديه .
(4 أنه يحث على حبس النفس عن الشهوات .
(5 يتأكد لصاحب القرآن ومتعهده أن الإيمان اعتقاد وعمل ، ومعرفة العبد ما افترض عليه .
(6 يهذب الهدي القرآني النفوس بذكر الأخلاق التى تصلح من شأن الفرد والجماعة . كالصبر ، والصدق ، والوفاء ، وأداء الأمانة ، والتحذير من الأخلاق السيئة التى تسبب الشقاء كالكذب والخيانة ، وإخلاف الوعد ، ونقض العهد .
(7 يرسي القرآن كثيراً من أصول أحكام المعاملات في البيع والشراء ، وأحكام الجنايات وأحكام الميراث وأحكام الحرب والسلم .
(7 كما يرسي القرآن الكريم أصول العلاقات الاجتماعية بما يحقق العدل الاجتماعى بين الناس ، ويشدد على إشاعة المودة والتراحم فيما بينهم .
(8 يؤكد الكتاب المحكم على كثير من مقومات التربية النفسية الصحيحة للمسلم بحيث يكون مهيئا للصبر على البلاء ، والشكر في الشدة والرخاء ، والرضا بالقضاء ...
(9 إثبات نبوة الأنبياء ، وإثبات الحشر ، وذكر ما في الآخرة من الحساب ، والجزاء ، وصحائف الأعمال ، والجنة والنار .
(10 ومن فضائل القرآن العظيم ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : " من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة " .
(11 ومنها ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله : " إذا أردتم العلم فعليكم بالقرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين " .
(12 أن القرآن يوضح لنا الغاية التى أوجدنا الله من أجلها في هذه

الحياة وهي أن نعمر دنيانا بالإيمان ، والعمل الصالح ، والكلام الطيـــب بما يعود علينا بالخير ، وأن نعبد الله ولا نشرك به أحدا .

(13 أن القرآن هو أساس الدين ، ومصدر التشريع ، وحجة الله البالغـــة في كل عصر وهو ذهاب همومنا ، وجلاء صدورنا ، وقائدنــا وســائقنا إلى جنات النعيم .

قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " مـــن أراد الدنيــا فعليــه بالقرآن ، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ، ومن أرادهمـــا معــا فعليــه بالقرآن " !! . وقالت عائشة رضى الله عنها : " من قرأ القـــرآن فليــس فوقه أحد " .

(14 أن الاعتصام بالقرآن والتمسك بما جاء فيه كان هـــو الـــذي مكــن المسلمين الأولين في الأرض ، فبه فتحوا البلاد ، ودانـــت لـــهم رقـــاب العباد ، ومكنهم الله في الأرض ، وانتصروا على الأعداء ، وكـــان فـــي مقدمتهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون ، وسار على نهجهم العلمـــاء العاملون والقادة المصلحون .

من إعجاز القرآن الكريم

هذه إشارة إلى وجه من وجوه الإعجاز في ذلك الكتاب المحكم لفظـــا وحروفا وأعداداً إذ تجد فيه مقابلات عددية تـــوازي بعـــض المقـــابلات اللفظية ، ومن أهمها :

أنه قد لوحظ أن لفظ الحياة ومشتقاتها يتكرر ١٤٥ مرة . وكذلـــك لفـــظ الموت ومشتقاته يتكرر ١٤٥ مرة . وكلمة الدنيا فـــي القـــرآن الكريـــم تتكرر ١١٥ مرة . وبالعدد نفسه ١١٥ وردت كلمة الآخرة . والملائكـــة يأتى ذكرها ٨٨ مرة . والشياطين بـــالمثل ٨٨ مـــرة . ومـــن أوجـــه الإعجاز الأخرى:

1) النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب .
2) الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية .
3) الجزالة التى لا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثلها .
4) التشريع الدقيق الذى يفى بحاجات البشر .
5) الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية التى لا تعرف إلا بالوحي.
6) الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعيد .
7) عجز المخلوقين أن يأتوا بمثله .
8) تيسيره للحفظ قال تعالى :
(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر) القمر /٤٠ .
9) أنه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام .
10) عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله وهو عجزٌ كذلك عن إيداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به ، فهو كلام الله ووحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنه حق وصدق . وعدد سور القرآن ١١٤ سورة .

وعدد أجزاء القرآن الكريم ٣٠ جزءاً ، وعدد أحزابه ٦٠ حزباً ، وعدد آياته ٦٢٣٦ آية ، وعدد المكي منها ٤٤٧٥ آية نزلت على الرسول بمكة ، وعدد الآيات المدنية ١٧٦١ آية نزلت على الرسول بالمدينة المنورة.

مراحل تبليغ الدعوة وجهاد المعاندين

وفي وسط هذا الظلام الحالك المخيم على شبه الجزيرة العربية كانت الإنسانية في مسيس الحاجة إلى الهداية والإصلاح ، وإلى القائد والمنقذ الذى يهيء لها طريق الرشاد ، ويحيي العُقول ، من الجمود والغواية ،

ويلوح تحت سماء مكة نور وتنطلق صيحة حق تنبه الغافلين ، وتوقــظ النائمين ، فقد بُعث محمد بالرسالة الخاتمة وبدأ الرسول في أول الأمــر يدعو الأقربين من أهله سرًا وكان أول من صدق به زوجته خديجة ، ثـم أبو بكر الصديق من الرجال ، ثم آمن به على بن أبي طالب ، ثم استمر الرسول في الدعوة سراً حتى نزل قول الله تعالى : (فاصـدَعْ بمـا تـؤْمــرُ وأعرضْ عــن المُشركينَ إنَّا كفيناكَ المُستهزئين)
الحجر /٩٥ . فجهر الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعوة ممتثلا لأمر ربه . عندئذ حقد أهل مكة على بنى هاشم أن يكون الرســول منــهم !! والحقد ولَـد الغضب والغضب ولَـد العمى والعناد والمكـابرة !! . فأعلنتها قريش حربا لا هوادة فيها على الرســول وأتباعــه . وكـانت زوجته خديجة تؤازره وتشجعه وتسانده بما معه من الحق ضـد الكـثرة المتحكمة في زمام الأمور والمتسلطة عليها من سادات القوم وأثريائـهم . والنبي عليه الصلاة والسلام يتحمل أذى قومه وانتقامهم ، وغضبهم عليه وكيدهم له بكل وسائل الأذى والعدوان ، وهو صابرٌ على الســخرية ، والإستهزاء والتهديد والإيذاء ؛ ثـقــة ويقينا بأنَّ نصـــر الله آت وفــي سبيل الحق ودعوة ربه لأنه عليه السلام ـ النبي الذي لا ينشــد لنفسـه متاعا ، ولا يبتغى في هذه الدنيا علــواً فوظيفتــه العمـل لله ، وإبـلاغ رسالته، وهى تقوم على الدينونة لله وحده بلا شريك فإن ما جاء به النبـي جاء به الرسل من قبله حقيقة واحدة مُوحى بها من الله .

ولما اشتد أذى المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عمه أبو طالب مشفقا عليه : ياابن أخى : إن قومُك أنذرونــي فـأبق علــيَّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق !! فيردُّ الرسول الواثـق بربه المؤمن بدينه : " والله ياعم لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمـر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه مـا

تركته !! " .

وماتت خديجة التى كانت سنده ، ومات عمه أبو طالب في نفس العـلم ولم يكن في عشيرة النبي وأعمامه حاميا له ولا نائبا عنه غيره فعظمـت المصيبة وسماه المؤرخون وكتاب السيرة عام الحزن . وكان عمـه لـه عضداً وحرزاً في أمره ، وناصرا على قومه فنالت قريش من النبي مـن الأذى ما لم تكن تبلغه في حياة أبي طالب . واشتد الإيذاء أكثر وأكـثر ، ويأتي الجواب شافيا لكل آلام الرسول كافيا لتحقيق ما تمناه على الله. (ما ودعكَ ربُّكَ وما قلىَ وللآخِرةُ خيرٌ لك من الأولىَ) الضحى/ ٣،٤.

واستمر الرسول يتحمل الأذى بكل صدق وعزيمة وكل صبر وقـوة في سبيل الدعوة إلى عبادة الله ووحدانيته مدة ثلاث عشرة سـنة وهـو بمكة ، منها ثلاث سنوات بعد موت خديجة وأبي طالب ، وبلغت الحـرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقصى مداها حتى أمره الله سـبحانه وتعـالى بالهجرة إلى يثرب .

الهجرة وأثرها في الإسلام

لما أوحى الله لرسوله بالهجرة من مكة إلى يثرب وعلم أنه أمـر الله سبحانه وتعالى وقضاؤه الذي لا بد أن ينفذ ذهـب صلـى الله عليـه وسلم إلى أبي بكر الصديق وأطلعه على عزمـه ، وأمـره بالإسـتعداد للهجرة وكلّف عليًا بن أبي طالب أن ينام في فراشـه لتضليـل الكفـار المترقبين للنبي أمام داره للإنتقام منه ، ثم خرج الرسول في جوف الليـل وهو يقرأ سورة يسٓ (يسٓ والقرآن الحكيم حتى قوله تعالى (وجعلنا مـن بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهَمْ لا يُبْصِرون) يس / ٩ . وجعل يضع التراب على رءوسهم حتى وصل إلى دار أبي بكر وخـرج النبي وأبو بكر ليلا قاصدين غار ثـور ، ودخـل الكفـار دار النبـي ،

وأيقظوا من في الفراش فإذا هو على بن أبي طالب فخرجوا خاسـرين ، واشتد غضبهم وساروا متتبعين الأثر حتى وصلوا إلـى غـار ثـور ، وكانت معجزة الله القدير لتضليل الكفار والمشركين . وقد سد باب الغـار بعش الحمام والبيض وخيوط العنكبوت . كما نمت شجرة لم تكن ناميـة من قبل ورجع الكفار ، والحقد يملأ قلوبهم والغيـظ يمـلأ صدورهـم ، واستمر الرسول وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام ذاكرين الله فكلما ذكر أبـو بكر كلمة الخوف يطمئنه النبي عليى الصلاة والسلام بقوله : " لا تخـف إنَّ الله معنا " . وبعد ثلاثة أيام خرج الرسول وأبو بكـر مـن الغـار قاصدين قباء على مشارف يثرب أى ضواحيها ووصل الركب النبـوى قباء ومكث النبي فيه ثلاثة أيام بنى فيها الرسول عليه الصلاة والسـلام مسجده الذى مدحه الله في القرآن بقوله تعالى :

(المَّسجد أسّس على التقوى مِن أول يوم أحقُ أن تقوم فيه فيـه رجـالٌ يُحبوُن أن يتطهروا والله يحبُ المطِهرين) التوبة / ١٠٨ . وكـان أول مسجد يصلى فيه المسلمون جماعة علانية آمنين ، ووصل على بن أبـي طالب مهاجراً إلى قباء والرسول ما زال فيها ، ويعتبر المؤرخون هـذا اليوم بداية التاريخ الهجري وهو يوم الجمعة الثاني عشـر مـن ربيـع الأول .

وخرج الرسول بموكبه راكبا ناقته وأبو بكر خلفه ومعه من بايعه مـن المؤمنين من أهل مكة وفي الوقت نفسه قد بايعه أهل المدينـة وأشـهر قبائلها وهما قبيلتا : الأوس ، والخزرج حتى وصلوا يثرب أى المدينـة في موكب لم تشهده المدينة من قبل وكان ذلك سـنة ٦٢٢م . وقوبلـوا بالفرحة من أهل المدينة الذين قابلوهم منشدين نشيدهم المشهور :

طلع البدر علينا	من ثنيَّات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خير داع

وكان للإستقبال الرائع الذى صادفه الرسول في المدينة أحسن الأثر في نفسه إذ أدرك منه استعداد الجميع لتقبل دعوته وشد أزره ، فأخذ يفكر في تكوين أمته ، ووضع الحجر لبنائها على اسس متين ، ومكث الرسول بدار أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى له مسجداً وحجرات بجواره ، وقد وفق عليه السلام لجمع الكلمة ، وجعل الناس يلتفون حول دعوته ، ويصدقون رسالته ، ويؤمنون بما جاء به ، وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يغرس روح المحبة بين الأفراد والقضاء على كل ما من شأنه أن يقف في طريق هذه المحبة ، ويعكر صفوها ، وأخذ يؤاخى بين المهاجرين والأنصار إخاءً يجعل المرء لا يكمل إيمانه حتّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأصبحت المدينة مصدر الإشعاع بالعلم والنور ، فكانت الدولة الإسلامية بجيشها الفتى القوى بقيادة الرائد الأول، والقائد الأمثل محمد عليه السلام ، وبعد حروب وغزوات فتح الله على المسلمين مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وبذلك تمت نعمة الله ، وكمل دينه وأظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والله سبحانه وتعالى يهدى من يشاء إلى سراط مستقيم .

وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام للأمة ما ينفعها في معاشها ومعادها وهو معصوم من الزلل في القول والعمل ؛ إذ جاء بالدين الحق، وإخلاص العبودية لله وإفراد المعبود بحق العبادة وإبطال العادات القبيحة، وكل ما يشوبه شيء من الشرك ، وهو بذلك إنما كان يدعوهم لما يحييهم . إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة وبكل معاني الحياة ،

إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول وتطلقها من أوهام الجـــهل والخرافة ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات .

يدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلـــن تحـــرر الإنســـان وتكريمـــه بصدورها من الله وحده ووقوف البشر كلهم صفا متساويين في مواجهتها لا يتحكم فرد في شعوب ولا طبقة في أمة ولا جنس في جنس ولا قـــوم في قوم . ويدعوهم إلى منهج للحياة ، ومنهج للفكر ، ومنـــهج للتصـــور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة المتمثلة في الضوابط التي وضعـها خالق الإنسان والعليم بما خلق .

ويدعوهم إلى القوة والعزة والإستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم والثقـــة بدينهم وبربهم وإخراجهم من عبودية العباد إلـــى عبوديـــة الله وحـــده ، وتحقيق إنسانيتهم العليا التي وهبها لهم الله فاستلبها منهم الطغاة . كما أنه يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لتقرير ألوهية الله سبحانه وتعـــالى فـــي الأرض وفي حياة الناس ، وتحطيم ألوهية العبيد المدعـــاة ، ومطـــاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله سبحانه وتعالى وحاكميته وسلطانه حتـــى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده ، وعندئذ يكون الدين كله لله قال تعالى (يـــا أيُها الذِينَ آمَنُوا إستَجيبُوا لله وللرسول إذا دَعاكُم لما يُحييكُمْ) الأنفـــال / ٢٤ . ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام وهو المعصوم يكثر مـــن دعاء ربه بقوله : " اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " .

وهكذا نجد أن حياة محمد عليه الصلاة والسلام بنيت على معرفـــة الله والتبتل إليه والهتاف باسمه ، وجمع الناس عليه ، وقـــد صـــرح عليـــه السلام في وضوح وجلاء أن الإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربـــي وقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات تؤيد شمول الرسالة المحمديـــة لجميع الأجناس والأعراق قال تعالى (وما أرسَـــلناك إلاّ كافـــة للنـــاس بشيراً ونذيراً ، ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون) سبأ / ٢٨ .

ولقد أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام كتبا إلى الملـــوك والأمـــراء يدعوهم فيها إلى الاسلام ومن أهمها :

1ـــ رسالة هرقل قيصر الروم .

2ـــ رسالة النجاشى ملك الحبشة .

3ـــ رسالة كسرى ملك الفرس .

4ـــ رسالة المقوقص عظيم القبط في مصر .

وقد جمع الرسول علية الصلاة والسلام . الأمة على كلمة التقـــوى ، وأقام وحدتها على دعائم الود والأخوة والتراحم ومكـــارم الأخـــلاق ؛ فربهم واحد ، وكتابهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، ورسولهم واحـــد ، وهـــو القدوة والأسوة . ولعل عظمة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام تتمثـــل على أتم صورها في كمال أخلاقه ، وثقته بنصر الله فلم يأخذه الزهـــو أو الغرور عندما كثر أتباعه وفتح الله عليه ودانت له البلاد . وكان يقـــول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، وهذا يعطـــى النـــاس درســـا خـــالدا للتواضع والثقة بالله وترك الزهو والغرور لأنها من باطل الدنيا وغـــرور السلطان فدائما تكون كلمة الله هى العليا . إن نبل أخلاق النبوة هى التـــى كانت تحرك مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهى التى جعلته يعفـــو عن من ظلموه وأساءو إليه واضطهدوه وسخروا منـــه وأذوه ، فعندمـــا تمت له الغلبة وتحقق له النصر لم ينسه ذلك نعمة الله عليه وإنمـــا كـــان يؤكد بالبرهان العملى أنه الرحمة المهداة !! .

لقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم كريم الخصال نبيل الأفعـــال جليل الشمائل ، جم الفضائل ، مؤدب النفس ، عـــالى الهمـــة ، صـــادق العزيمة ، كامل الخلق ، نقيا تقيا ، أمينا كريما ، فطنا فصيحـــا ، عـــذب الحديث ....

إنها أخلاق النبوة يشع خيرها ويفيض نبلها في كل زمـــان ، وتبـــدو

موضع إعجاب وتقدير بين كل من يطلع عليها أو يقرأ عنها ، إن شـمس النبوة حين تشرق على البشرية لا بد أن تمحو قتـام النفـوس المظلمـة فتغدو مضيئة بالإيمان جياشة بالرحمة .

فاللهم صلى وسلم على أشرف خلقك وخاتم رسلك محمد بن عبـد الله الذى أفاض على أهل الأرض من نوره ، وأنقذ البشرية بدعوته الغـراء ونور الإسلام الحنيف الذى رفرفت ألويته الخفاقة في جنبات الأرض .

* * * * *

من كل ما تقدم نرى أن الهجرة كانت بداية مرحلة جديـدة لإنطـلاق الحق ودحر الباطل كما كانت فاتحة لجهاد متصل خاضـه المصطفـى صلى الله عليه وسلم والمخلصون ممن اهتدى بهدية وآزروا دعوته حتـى كان النصر والفتح المبين ، مصداقا لقوله سبحانه : (إذا جاء نصـر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفـواجا فسـبح بحمـد ربـك واستـغـفـره إنه كان توابا) سورة النصر .

صلوات ربي وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله لقـد جئـت بـالحق المبين وهديتنا إلى سبيل الرشاد ، نشهد أنك بلغـت الرسـالة وأديـت الأمانة ونصحت لأمتك فكنت خير الناصحين .

معجزات النبي محمد عليه الصلاة والسلام

1ـ من معجزاته عليه السلام ـ إنشقاق القمر فلقتين فلقة فوق الجبـل ، وفلقة دونه.

2ـ أصيبت عين (قتادة) يوم غزوة أحد حتي وقعـت علـى وجنتـه فردها النبي عليه السلام فكانت أحسن منها قبل !!

3ـ عطش الناس يوم الحديبية ففار الماء من بين أصابعه بدعائه كأمثـال

العيون فشرب منه القوم وكانوا الفا وخمسمائة نفر !! .

4ـ نطق الشجر له ـ فقد دنا منه أعرابي فقال لـه الرسـول : مـاذا تريد ؟ وأين تريد ؟ فقال الإعرابي : إلى أهلي . قال الرسول هل لك إلى خير فقال الإعرابي وما هو ؟ فقال الرسول : تشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فقال الأعرابي : ومن يشهد لك علـى مـا تقول ؟ فأشار النبي إلى شجرة بشاطيء الوادى ، فـأقبلت تخـد الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت كما قال عليه السـلام . فنطق الأعرابي بالشهادة !! .

5ـ حنين جذع النخلة وبكاؤه لما فارقه الرسول ؛ لأنه كان يخطب عليـه كمنبر ولما صُنِع للرسول منبر وترك الصعود عليه بكى الجذع حنينـاً وشوقاً إليه سمعه من في المسجد ، ولم يكفَّ عن حنينـه حتـى وضـع الرسول يده عليه !! .

6ـ دعاؤه على كسرى بتمزق ملكه فتمزق .

7ـ دعاؤه لابن عباس بالتفقه في الدين فكان عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة .

8ـ الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصـى إلـى السموات العلا إلى سدرة المنتهى وعودته صلى الله عليـه وسـلم إلـى فراشه ولم يبرد .

9ـ القرآن الكريم وهو معجزته العظمى وآية نبوته الخـالدة ، وصـدق رسالته ، والحجة القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

خبر البيت العتيق وقصة بناء الكعبة

إن أول بيت وضع للناس في الأرض وضع بمكة ليكون المقصد هـو الله وحده ؛ فمكة قليلة الماء والخصب ، فقصدها إنما يكون لله وحـده .

وإذا كان للبيت فخامته وبهاؤه فللكعبة جلالها باعتبارها قبلة كـــل وجـــه مسلم ، وقلب مؤمن ، من أى مكان توجه وفي أى بقعة كان ، فإذا وقـف بإزائها وطاف بها كان هو نفسه مشاركا ومستمتعا بالشرف الذي يحويـه المكان الذى إليه تهفو الأفئدة والقلوب .

إن الله تعالى قال للملائكة (إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعـل فيها من يفسد فيها ...) فغضب الله عليهم فطافوا بالعرش ســـبعة أيـام يسترضون ربهم فرضى عنهم ، وقال أبنوا لى بيتا في الأرض يتعـــوذ به من سخطتُ عليهم من بنى آدم فأرضى عنهم ، فبنى الملائكـــة هـذا البيت ، ومن بعدهم آدم وأبناؤه ، ثم إبراهيم وإسماعيل عليهما الســـلام . فلما فرغ إبراهيم الخليل من بنائه قال الله سبحانه وتعالى لـــه : (وأذن في الناس بالحج) فمنك النداء ومنّي البلاغ !! . ثم أعادت قريش بنـــاء الكعبة قبيل الإسلام ، وقد حضر النبي عليه الصلاة والسلام هذا البنـــاء حيث وضع الحجر الأسعد بيده الشريفة وذلك قبل البعثة بخمس عشـــرة سنة ، ثم أعيد بناؤها بعد ذلك على عهد عبد الله بن الزبير ثم في عـــهد بني أمية وهو هذا البناء القائم حتى وقتنا هذا .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى البيت بالعتيق وقال عليه السلام أنـــزل الحجر الأسعد من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايـــا بنـــي آدم!! . وقال أيضا: " ... وأشهدوا هذا الحجر خيراً ؛ فإنه يـــوم القيامـــة شافع يشفع !! له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه !! " .

وما زال الخلفاء ، وملوك الإسلام وأمـــراؤه علـــى امتـــداد الـــدول والعصور يعنون بعمارة البيت الحرام ، ويقدسونه ، ويخصونـــه بـــألوان التكريم ، حتى صار على ما هو عليه الآن ـــ زاده الله تشريفا وتكريما ، وتعظيماً !! .

والكعبة كما ورد في الأخبار الصحيحة تحت العرش يطوف حولها وفـد

الله من الحجاج والعمار ، فيعطيهم ربهم ما سألوا ، ويستجيب لـــهم مـــا دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا .

زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

(1 خديجة بنت خويلد

هي خديجة بنت خويلد بن أسد القرشي أولى زوجاته وكانت تســـمى الطاهرة وهى أرملة سبق لها الزواج ، وكـــانت ذات شـــرف ومـــال ، تزوجها الرسول وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون ســـنة ، وأحبها الرسول فكانت له الأم ، والأخـــت ، والزوجـــة ، والصديقـــة ، والحبيبة وهى أول من آمن بالرسول من النساء وأنجبت له القاسم وتوفـــي وهو صغير ، وعبد الله الذى سماه الرسول الطاهر ، والطيب ، ومـــات قبل أن يكمل رضاعته ، وأنجبت له أربع بنات هن : رقية ، وزينـــب ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وكانت خديجة البلسم الشافى تُهون على الرســـول ما يفعله به زعماء قريش فما كان الرسول يسمع شيئا مما يكرهه مـن رد عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليـــها تثبتـــه عليه وتصدقه وتُهون عليه أمر الناس ؛ لأنها كانت له نصير صدق علـــى الإسلام يشكو إليها فتعينه على احتمال الشدائد ، وأقسى ضـــروب الأذى والاضطهاد.

وهى الكريمة الخصال ، ذات الحنان والعطـــف ، كريمـــة الســـخاء ، فكانت السند لرسول الله تشد أزره وتعينه في ســـبيل الدعـــوة وإظـــهار الحق. وأتى جبريل النبي علية الصلاة والسلام فقال يارسول الله : " هـــذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه طعام فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربـــها السلام ومنّي ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ـــ مـــن أنـــابيب مـــن جوهر ـــ لا صخب فيه ولا نصب !! " رواه البخاري عن أبي هريرة .

وتوفيت بعد البعثة بعشر سنوات ، ودفنت في الحجون أعلى مكة وكان عمرها خمسا وستين سنة ، وحزن عليها الرسول حزنا شديداً ـ وقال عليه الصلاة والسلام ـ حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون " رواه الترمذى .

(2 سودة بنت زمعة

وكان قد توفي زوجها بعد أن أسلم وأراد الرسول أن يتزوجها بعد موت خديجة . وأخذ أبوها رأيها فقال لها أتحبين أن أزوجك محمد بن عبد الله فقالت نعم ، وجاء الرسول وأصدقها أربعمائة درهم ودخل بها بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة ، وكانت راضية كل الرضا أن تخدم بنات الرسول صلى الله عليه وسلم ورغم أنها كانت ثبطة ثقيلة الجسم فكانت طيبة القلب تقترب من السذاجة ولخفة روحها كانت تدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجت مع رسول الله حجة الوداع ، وتوفيت في خلافة الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(3 السيدة عائشة .

هي بنت أبي بكر الصديق ولدت بمكة ، وأمها أم رومان بنت عامر، وكانت الواسطة بين أبي القاسم وأبي بكر امرأة عثمان بن مظعون فوافق الصديق وقال لها قولى لرسول الله فليأت . فجاء أبو القاسم وعقد على عائشة وأصدقها أربعمائة درهم وكان عمرها تسع سنين وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ثم هاجر الرسول إلى المدينة وبنى فيها مسجداً وبجواره حجرات وأسكن عائشة حجرة ملاصقة لمسجده لها مصراع واحد ـ كانت غرفة الوحى لكثرة نزول الوحى على النبي فيها ، وأحبها

وإحتلت في قلب النبي منزلة رفيعة . يقول أنس بن مالك خادم رسـول الله : "أول حب في الإسلام كان حب النبي لعائشة " رواه الـترمذي . وقبض خاتم الأنبياء وعمره ثلاث وستون سنة وروت عنه عائشة أربعـة وسبعين حديثاً ، وتوفيت وعمرها سبع وستون سنة ودفنت في البقيع مـع زوجات النبي صلى الله علية وسلم.

(4 حفصة بنت عمر.

كانت قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة خنيس بـن خذافة السهمى الذى أسلم ، وهاجر معها إلى المدينة وشهدا موقعة بـدر ثم أستشهد في موقعة أحد ، فلما رأى عمر ابنته قـد أصبحـت أرملـة عرضها على عثمان بن عفان ثم على أبي بكر فلم يجد الرغبـة منـهما فتزوجها الرسول عليه السلام . والرسول كان قد طلق حفصـة فـنزل جبريل عليه السلام وقال للنبي إن الله يأمرك أن تراجع حفصـة رحمـة بعمر ــ فدخل الرسول على حفصة وقال لها ــ إن جبريل أتاني وقـال لي : " أرجع حفصة فإنها صوامة ، قوامة ، وهى زوجتك في الجنـة " رواه الطبراني . وأقامت حفصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسـلم عاكفة على العبادة حتى توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان ، ودفنـت مع زوجات الرسول في البقيع.

(5 زينب بنت خزيمة

وكانت قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ولما علم عبيدة أن محمد بن عمه قد بعثـه الله رسولاً نبيا أسلم هو وزوجته وكانا من السابقين الأولين إلـى الإسـلام ، وبذلك نالا الاضطهاد والتعذيب من مشركى قريش فهاجرا إلى يـثرب ، وكانت زينب تسمى أم المساكين لرحمتها بهم ورقتها معهم ، واستشـهد

زوجها في موقعة بدر فخطبها الرسول وتزوجها وجعل لها حجرة بجانب حجرة حفصة ولم تمكث مع الرسول إلا ثمانية أشهر وتوفيت ، وكان عمرها ثلاثين سنة فصلى عليها الرسول ودفنها بالبقيع.

(6) أم سلمة.

واسمها هند بنت أبي أمية وكانت متزوجة من عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بن برة بنت عبد المطلب وولدت له مولوداً سماه والده سلمة.

أسلمت هي وزوجها أثناء دعوة الرسول لعبادة الله سراً وهاجرا إلى يثرب عندما أمر الرسول أتباعه بالهجرة . ويوم بدر خرج أخٌ له يدعى سفيان من صفوف المشركين وكان سيء الخلق ، شديد العداوة للنبي فقال : لأشربن من حوضهم ! أيْ حوض المسلمين . فأراد أبو سلمة قتله فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار عليه السلام إلى أبي سفيان وقال : هذاأول من يعطى كتابه بشماله ويدخل النار ، ونظر نحو أبي سلمة وقال : هذا أول من يعطى كتابه بيمينه ويدخل الجنة !! وكانت أم سلمة تبادل زوجها الحب والإعزاز ، وهو لها كذلك . وكان أبو سلمة يدعو لزوجته قائلا : " اللهم إذا مت ارزق أم سلمة رجلا خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها !! " فلما مات تقدم لها أبو بكر فرفضته في رفق وتلاه عمر فرفضته ، وبعث الرسول لأم سلمة خاطبا فقالت مرحباً برسول الله ، وقالت لرسوله أخبر رسول الله أني غيور ، وأني مصبية (أي لي صبية) أيْ ليس أحد من أوليائي شاهدا وأنا كبيرة . فبعث الرسول يقول لها : أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك . وما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي.

وعاشت بعد الرسول في عهد أبي بكر وعمر وتوفيت بالمدينة

المنورة في ذي القعدة سنة ٥٩ هـ وعمرها أربع وثمانون سنة ودفنت مع زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في البقيع.

(7 زينب بنت جحش

وهى بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمها أميمة بنت عبد المطلب وأبوها جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة واسمها بـرة ، وكانت جميلة تعتز بجمالها وقرابتها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عند الرسول خادم اسمه زيد بن حارثة ، كان قد أعتقه وتبناه فلع عليه اسمه فكان يدعى : زيد بن محمد . ثم زوَّجه الرسول برة بنت عمته ، ولم تكن برة على وفاق مع زيد بل كانا دائما في خلاف وكثيرا ما شكا زيد للنبي من سوء معاملة زوجته له فكان الرسول يقول له : أمسك عليك زوجك واتق الله ! ثم قال زيد للرسول أفارقها فيرد الرسول ويقول : احبس عليك زوجك ولكن زيدا فاض به الكيل ، ولم يجد سبيلا إلا أن يفارقها وكان هذا الفراق لحكمة يعلمها الله .

وذات ليلة كان النبي جالسا مع عائشة يتحدث فأخذته غشية فلما سُرِّي عنه تبسم وقال : من يذهب إلى بـرة ويبشرها أن الله تعالى زوجنيها في السماء " وأخذ يتلو قول الحق تبارك وتعالى :

(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس واللهُ أحقُ أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً وكان أمرُ الله مفعولا) الأحزاب / ٣٧ . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماها زينب بدلاً من برة وذاع في مدينة رسول الله أن محمد يحرم بنت الولد وقد تزوج إمرأة ابنه زيد فأنزل الله العلى القدير (ما كان محمدق أبا

أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكـــان الله بكــل شـــيء عليما) الأحزاب /٤٠ . وهذه الآية تدل على أنه لا تبني في الإسلام .
وقالت عائشة في زينب : لم أر إمرأة قط خيراً من زينب فـــي الديـــن ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأرشـــدنا للعمل الذى يتقرب به إلى الله وماتت رضى الله عنها سنة عشرين مـــن الهجرة وكانت أول نساء النبي لحوقا به فصلى عليها عمـــر وضـــرب على قبرها فسطاطا فكان أول فسطاطا ضرب على قبر.

(8 جويرية بنت الحارث

هي برة بنت الحارث بن أبي ضرار ـــ سيد قومه ـــ بن حبيـــب بن خزيمة الخزاعية المصطلقية . وقعت في الأسر يـــوم غـــزوة بنـــي المصطلق ، ولما وزعت الغنائم وقعت برة أسيرة ثـــابت بـــن قيـــس ، وكاتبته على نفسها ، ثم جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تعـوض عليه الأمر ، وتستعين به فقال لها : أن أقض كتابك . وأنا أتزوجـــك . فقالت برة : نعم . وفرحت فرحا شديداً . وقد فعلت وتزوجها الرســـول صلى الله عليه وسلم ، وكان صداقها عتق كل أسير من بني المصطلـق ، وسماها الرسول جويرية ، وذات يوم قـــالت للرســـول : إن أزواجـــك يفخرن عليَّ ويقلن : لم يتزوجك رسول الله . فقال لها النبـــي صلـــى الله عليه وسلم : أولم أعُظم صداقك ؟ أولم أعتق أربعين من قومك ؟ وفـــي يوم مر عليها الرسول وقد صلت الفجر ثم جلست حتى ارتفع الضحـــى فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : ألا أعلمك كلمـــات تقولينـــها ؟ قالت بلى : قال : تقولين :
سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشـه، سبحان الله مداد كلماته !!.

وامتدت حياتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سنة ٥٦ هـ إذ توفيت في ربيع الأول من تلك السنة عن عمر يناهز الخامسة والستين ، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين .

9) صفية بنت حيي بن أخطب .

من سبط هارون بن عمران أخو موسى عليهم السلام كان اسمها زينب تزوجت من كنانة بن الربيع ، ويوم خيبر وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس . وسماها النبي عليه السلام صفية بدلاً من زينب . وكانت زينب وهي عروس لكنانة قد رأت في منامها أن قمراً وقع في حجرها فلما ذكرت رؤياها لزوجها لطمها على وجهها وقال إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب يقصد محمداً عليه السلام ، وكان زوجها يبغض الإسلام ويعكف على شرب الخمر والشرك ، وقد أسلمت صفية وحسن إسلامها فافترقا ولما طهرت من حيضتها تزوجها الرسول بعدما اصطفاها من خيبر وكان عمرها سبعة عشر سنة . ودخل عليها الرسول يوما فوجدها تبكي فقال لها ما يبكيك ؟ قالت : زوجاتك تتلن منّي . وتقلن لى نحن خير منك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا قلت لهن كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمى موسى وزوجى محمد ؟! وخرجت مع زوجات الرسول يوم الحج في حجة الوداع ، ولما مرض الرسول مرضه الذي توفي فيه اجتمع نساؤه حوله فقال لهن : سيحفظني فيكن الصابرون أو الصادقون.

وتوفيت صفية سنة ٥٢هـ ودفنت في البقيع مع أمهات المؤمنين.

10) رملة بنت أبي سفيان.

هاجرت هى وزوجها عبيد الله بن جحش بعدما أسلما إلى الحبشة

كان المهاجرون يعبدون الله مطمئنين إلا زوجها لأن فكرة تجسيد الآلهة تستهويه فخرج من الإسلام ، وحاول أن يرجع رملة عن الإسلام فلم يتمكن ، وكانت قد ولدت مولودة سمتها حبيبة ـ فقالت أم حبيبة لزوجها والله إن الذي فعلت ليس خيراً لك !! قال تعالى (قد جاءكُمْ بصائِرُ من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ) الأنعام / ١٠٤ .

وأكب زوجها على الخمر يشربها فكان الفراق بينهما ، واعتكفت أم حبيبة في دارها تقرأ القرآن ، وتجتهد في العبادة ، وتقوم الليل تناجي الله، وتشكو إليه حالها وهو بها أعلم . وفي ذات ليلة رأت في منامها آتيا يقول لها : (ياأم المؤمنين) وأخذت تفكر في رؤياها ؛ لأنها لن تكون أمًّا للمؤمنين إلا إذا تزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها إذا رجعت مكة فسوف يعذبها أبوها أبو سفيان ، وربما قتلها ، وهى التي قد أعلنت أن حبها لرسول الله ودينه يفوق حبها لأهلها وعشيرتها ، وتحققت رؤياها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطب أم حبيبة فأصدقها النجاشي عن رسول الله أربعمائة درهم وبعث بها لرسول الله فتزوجها سنة سبع من الهجرة ، وكان أبوها يقول لها لقد أصابك شرٌّ فترد بثقة وإيمان : الله هداني للإسلام والإيمان بالواحد الأحد، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر !! وأنت سيد قريش وكبيرها . وروى عنها خادمها سالم بن سوار ، وأبو الجراح ، عمرو بن الزبير وتوفيت رملة سنة أربع وأربعين من الهجرة ودفنت مع زوجات الرسول في البقيع.

(11 ميمونة بنت الحارث.

وأسمها برة بنت الحارث . وزوجها أبو رهم بن عبد العزّى . توفي

زوجها وأصبحت أرملة . وهى أخت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، وأسماء زوج جعفر بن أبي طالب . وأمها هند بنت عوف ، ولما قدم الرسول لأم القرى عام عمرة القضاء ذهب إلى الأبطح وجلس في قبته ليستريح ، فجاءه عمه العباس ابن عبد المطلب وزوج أختها وعرض عليه الزواج من برة بنت الحارث فوافق وبعث ابن عمه جعفر بن أبي طالب زوج أختها ليخطبها ، ومن شدة سرور برة ركبت بعيرها وانطلقت إلى الأبطح حيث قبة رسول الله وقالت للنبي البعير وما عليه لله ولرسوله ، وكان ما فعلته فرصة للمنافقين للتقول عليها فنزل قوله تعالى : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) الأحزاب /٥٠ .

وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام فكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها ميمونة ، واستمرت ميمونة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام تعبد الله وتقرأ القرآن وأرادت أن تحج وأخذت معها ابن أختها عبد الله بن العباس ، وبعد أن أدت مناسك الحج وافتها المنية ، ودفنت هناك سنة ٦١هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان.

أسباب تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن عرّفنا بكل من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين نجد أن زواجه منهن لم يكن لغرض الشهوة ، ولكن كان زواجه منهن لغرض دينى أو سياسي أو إجتماعى ، وهو المعصوم منذ شبابه من الاندماج في اللهو وعن ملذات الجاهلية وحماقاتها ـ فكان زواجه منهن لتهفو القلوب لدين الله وعبادة الواحد الأحد ، الذي قام بالدعوة له محمد عليه السلام هذا الدين الذى يدعو للوقوف بجانب الأرملة الذى توفي زوجها سواء شهيداً أو غير شهيد ، والذي يدعو إلى

مراعاة اليتيم الذي مات أبوه وكفالته ، والذي يدعـــو للحريـــة وعتــق الأسير والرقيق ولا عبودية فيه ، وأيضا تشجيع من دخلن فـــي الديــن برغبة وحب

كل هذه الأسباب السامية الرفيعة كانت أهداف النبي محمـــد عليــه السلام في زواجه من أمهات المؤمنين عليهن أفضل الســـلام ـ اللـــهم صلى وسلم على أشرف خلق الله أجمعين اللهم صلى وسلم علـــى مــن هدانا لطريق الحق والنور ، اللهم صلى وسلم علـــى الرحمـــة المــهداة للعالمين ، اللهم صلى وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمـــد أفضل الصلاة وأزكى السلام .

الإيمان بالغـيْـبـيَّات

مما أمر المسلمون بالإيمان به من الغيبيات : اليوم الآخر وما فيه مـن البعث والنشور ، والموقف ، والحساب ، والجنة ، والنار . ويوم القيامـــة يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين . وقد أوصانا المولى عز وجــل بالعمل الذي ينفعنا وينجينا من هول ذلك اليوم قال تعالى :

(واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) الـــبـقـــرة / ٤٨ .

وفي يوم القيامة من المواقف والأهوال ما تنخلع به القلـــوب وتـــتزلز الجوانح ، إذ تضطرب الأرض ، وتنفض ما في جوفها من الموتى مــــن الأولين والآخرين وتبدل الأرض غير الأرض والســـموات ، ويكـــون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن (الصوف) المنفـــوش ، فـــيرى الإنسان ما لم يعهد ، وهو مشدود مأخوذ يلهث فزعا ورعبـــا ، ودهشة وعجبا وإضطرابا ، ويواجه الخلق بمشـــهد الحشـــر والحســـاب والوزن والجزاء ، وبرزوا لله الواحد القهار .

يأتى الناس أشتاتا من أرجاء الأرض كأنـــهم جـــراد منتشـــر لـــيروا

أعمالهم ويعاينوا جزاءها ، ومواجهة الإنسان لنتيجة عمله هي أقسى من كل جزاء ! إنها عقوبة هائلة رهيبة لمجرد أن يرى الناس ما عملـــوا ، وما أخفوه عن بعضهم البعض في الدنيا ، ولا يستطيعون لـــها دفعـا أو إنكارا ، في موقف عصيب يكون الحساب فيه دقيقا حاسما لا يدع ممـــا عمل العبد صغيرة ولا كبيرة إلا نشرها وأحصاها !! .

قال تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كـــل نفــس مــا كسبت وهم لا يظلمون) البقـــرة /٢٨١ .

وتشهد الأرض على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ويصير النـــاس فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ففريق الجنة يـــأخذ كتابـــه بيمينه ، وفريق السعير يأخذ كتابه بشماله ، ويكون الناس ما بين شـــقى مأمور به إلى النار وسعيد مأمور به إلى الجنة ، وصـــدق الله : (فمــن يعمل مثقال ذرة خيراً يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره) الزلـــزلة / ٨،٧ . ويقول سبحانه : (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قـــــدّم وأخّـــر) الـــقـــيامة / ١٣ .

وهو يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، يـــوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . يقول عز وجل :

(لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) الـــمـــمـــتحـــنـــة / ٣ . وهذا اليوم لا تستطيع لغة البشر أن تعبر عن أهواله وشدائده ؛ حيث يُـــبـــعَـــث الخلائـــق أفواجـــا ، فزعيـــن مروعين مسرعين إلى حيث يساقون للحشر ، وهم بين مستبشر فـــرح ، وواجم مضطرب . قال تعالى :

(وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غـبرة * ترهقها قترة) عـــبـــس / ٤١،٣٨ .

في هذا اليوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنـــت

ترابا قال تعالى : (إن الساعة أتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) طـه /١٥ .

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثا ولن يتركوا سدى ، وهو سبحانه الذي قدر حياتهم ذلك التقدير ، ونسقها مع الكون الذي يعيشون فيه فلا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ، ويموتون هملا ، يصلحون في الأرض أو يفسدون ، يهتدون في الحياة أو يضلون ثم يذهبون في التراب ضياعا !! .

إن هناك يوما للحكم والفرقان والفصل في كل ما كان ، وهو اليوم المرسوم الموعود ، الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود ، وهو يومٌ ينقلب فيه نظام هذا الكون ، وينفرط فيه عقد هذا النظام : ففيه مشهد النعيم وهو يتدفق تدفقا (إن للمتقين مفازا) وفيه مشهد العذاب بكل قوته وعنفه : (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا) وهم الذين لايحسبون لهذا اليوم العصيب حسابا في دنياهم .

فعلى كل مسلم أن يتذكر دائما الآخرة وأن كل ما حوله فان وموعد الآخرة لابد منه والحساب والجزاء والعقاب لا بد منه ، فيعمل ما ينفعه من الأعمال الصالحات ، وتأدية حقوق الله وما فرض عليه ابتغاء وجه الله ومرضاته ــ فالإنسان بعد موته لا ينفعه إلا ما قدمت يداه ، وما عمله في دنياه من خير ؛ لأنه يترك ماله وجاهه وسلطانه وأولاده ، ولا يحصد إلا ما زرعه في دنياه وهو عند الله باق !! .

ولكى ينجو العبد مما يرهب يوم القيامة ، ويظفر بما يحب ويرغب عليه أن يحاسب نفسه في الدنيا على تفريطها ، ويلومها على تقصيرها ، وينهاها عن الهوى ؛ استعدادا ومهادا للآخرة ، وموقف يوم القيامة العصيب . فواجب العبد أن يقرأ القرآن ، ويتأمل فيه ، ويتعظ به، ويتدبر معانيه ، ويأخذ منه العبرة لنفسه ، ولاسيما سورة هود ؛ وسورة

ق ، وسورة الواقعة ، وسورة المرسلات ، وسورة النبأ ، وسورة التكوير ، وسورة الغاشية ، وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة .

والقرآن كله كلام العليِّ القدير ، وكله يطمئن القلب ، ويشرح الصدر والاستعداد لهذا اليوم وهذا الموقف العصيب يكون بالطاعة ، والإنابة والرجوع إلى الله رب العالمين ، ومراقبته في كل أمر من الأمور لأن هذه المراقبة توقظ في المسلم ضميره ، ويحيا بها فؤاده ، ويكون دائما على ذكر من ربه ، والقلوب إذا عمرت بالإيمان حفظ الله صاحبها من الزلل والوقوع في معصية الله أو التفريط في حق من حقوقه ، فتعمر الحياة وترفرف ألوية الحب والسلام ويعمل العبد ما ينفعه في أخراه . كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله .

وعلى العبد أن يلتزم بالتواضع والسكينة ليكون قدوة صالحة بين الناس فلا إستعلاء على الخلق ولا كبرياء . وعليه أن يلجأ إلى العفو والصفح . وأن يداوم على العبادة حتى يظل قريبا من ربه . وأن يستشعر دائما الخوف والرهبة والخشية من الله ، وأن يأخذ من هذه الخشية طريقا إلى العدل بين الناس فلا يظلم ولا يعين على الظلم . وعليه أن يلتزم (الوسطية) في حياته فلا يكون مسرفا ولا يكون بخيلا. وألا يكون الإنسان في الحياة قصير النظر ضيق الأفق ، يعيش لنفسه فحسب بل عليه أن تتسع نظراته إلى الناس من حوله : أيها السائرون المخمورون . اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون .أيها المخدوعوم بماأنتم فيه ، إنكم تاركون ما تتكاثرون به وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر – استيقظوا وأنظروا إن هذا كله فان ، فلتشغلوا القلوب بطاعة الله والعمل لهذا اليوم العصيب ، وترك مغريات الحياة الدنيا وإهتماماتها الزائلة التى

يهرع لها الفارغون. ذلك اليوم الحق المقدر بحكمة وتدبير لا بـد منه والفرصة ما تزال سانحة فمن شاء إتخذ إلى ربه مآبا قبل أن تكون جهنم مرصادا .

والعلاقة الوحيدة الصحيحة بين الناس ورب الناس هى إسلام الوجه له سبحانه ، وإحسان الاستمداد منه ، والاعتماد عليه ، واعتبار الدنيا مهاداً للآخرة ، والصورة الإيمانية واضحة ليس فيها مشكلات ولا محيرات ، ولا طلاسم ولا طقوس . تعتمد على حقائق الكون والحياة فيرى المسلم في ضوء هذا المعنى ربه في كل شيء وهو مؤمن بالآخرة، موقن بيوم الجزاء والحساب.

الجَنَّة

وهي دار كرامة أولياء الله ، ومنزل الأبرار منهم وبستان غرسه الله، ونعيم أعده الله لمن أطاعه ، ونعيمها يعظم على الوصف ، ويقصر دونه الضبط والحصر !! . أعدها ربنا وأوجدها داراً للمتقين المؤمنين الذين عملوا الصالحات السابقين إلى الخيرات ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم ، والجنة مراتب ودرجات ، بل جنان ، منها جنة عدن التي لا نستطيع أن نتصورها وإن سبحنا إلى آفاق الخيال !! وهي كما ورد في الأثر : لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، وملاطها المسك ، وحشيشها الزعفران ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وترابها العنبر ، وعندما قيل لها انطقي قالت : (قد أفلح المؤمنون) !! .

والجنة دار القرار رضوان خازنها، والرحمن بانيها والجار أحمد صلى الله عليه وسلم، وقصورها من ذهب!! قال عليه الصلاة والسلام: "إن في الجنة شجرة يسير راكب الجواد المضمر السريع مائة سنة

ما يقطعها ".

وسبيل الجنة هو العمل الصالح وهو كل عمل يرضى الله ، وكل قول يرضى الله ، وكل سلوك يرضى الله فهو سبحانه يربط بين الإيمان والعمل الصالح . قال تعالى : (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نُزلاً بما كانوا يعملون) السجدة / ١٩.

وإذا أخذنا بقوانين الله لا يأتينا إلا الخير لأن الله سبحانه وتعالى بين لنا الطريق مع بداية الحياة ، ولم يترك الإنسان منذ اللحظة الأولى من الحياة بل هداه لما يعبد به الله ، ويتقرب به منه . قال تعالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) القلم /٣٤ .

ومهمة الدين ضبط حركة النفس وتهذيب شهواتها ؛ فالإنسان الذى تزود بالتقوى والإيمان بالله وملائكته ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ومخافة الله وخشيته في كل أعماله ــ هو المنفذ لقوانين الله فهو يفوز برضاء الله . قال تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون) السجدة / ١٧ .

فالأعمال الصالحة ، وتأدية ما فُرض على الإنسان من عبادات وسلوكيات والشعور دائما بأن الله رقيب على عبده عليم بما يخفيه مُطلع على أعماله ، ومؤمن بأن الدنيا دار زوال والآخرة هى دار البقاء يرضى عنه وينال الثواب في الآخرة وهذا أعظم نعيم ــ قال تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) الشورى /٢٠ .

وقال النبي عليه السلام " أطعموا الطعام وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام " .

وأول من يفتح باب الجنة يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آتي يوم القيامة فأستفتح الجنة فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد .

فيقول الخازن : بك أمرت أن لا أفتح لأحـــد قبلك !! .

والذين يعملون الصالحات ، ويجتنبون المعاصي ، ويحافظون علـــى الصلوات الخمس ويؤدون العبادات المفروضة من زكاة وصيام وحـج إن استطاعوا ، ويتقربون إلى الله بالنوافل ، وماتوا على التوبـــة فجزاؤهـم الجنة ، والمغفرة والرحمة والرضوان . قال تعالى : (وأما الذين سُـعِدُا ففي الجنة خالدين فيها) هـــود ١٠٨ . وقال أيضـــا : (إن الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزلا) الكـــهـــف / ١٠٧ .

والجنة فيها نعيم مادي ملموس ونعيم نفسي محسوس فالفائزون بـــها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيـــها حريـــر ، وذلـك بعض المتاع ذى المظهر المادى أما النعيم النفسى فمحســـوس للنفـوس المؤمنة ذلك الرضا وذلك الأمن ، وذلك الاطمئنـــان . لا يمســـهم فيـــها نصب ولا يمسهم فيها لغـوب !! بـــل يجتمـــع فيـــها النعيـــم والراحـــة والاطمئنان ، والفائزون بها هـــم المؤمنـــون الحـــامدون ، الشـــاكرون الصابرون المتوكلون السابقون إلى الخيرات ؛ فقـــد خلقنـــا الله وكلفنـــا ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل لذلك كتبا وبعـــث رســـلا للهداية وطريق الحق والنور ، وما من جهد يذهب هدرا . حاشا لله فـــهو القائل : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنا وإن الله لمـــع المحســـنين) العنكبوت /٦٩ .

والجنة دار السلامة والكرامة والنوال ، وعيشها هنيء ـــ دار صفوها بلا كدر لا نوم فيها ولا ضجر ، ولا قيل فيها ولا قال ، أنهارها جاريـــة، وقصورها ذهب وثمارها دانية ، ونعيمها لم يخطر على بـــال أهلـــها ، من مروج الصندل يضحكون وفي رياض العنبر يتبخـــترون ، إخوانـــا على أرائك الياقوت !!

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم بوصف ما في الجنة من نعيم مقيم للفائزين بها منها قوله عز وجل : (والسابقون السَّبِقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين ، وقليلٌ من الآخرين على سُرُرٍ موضُونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مُخلدون بأكواب وأباريق وكأس من مَّعين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما تخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عينٌ كأمثل اللؤلؤ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) الواقعة / ١٠ ـ ٢٦ .

ويقول سبحانه : (إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار يُحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراً من سندسٍ وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نِعم الثواب وحسنت مُرتفقا) الكهف / ٣٠ ، ٣١ .

وفي سورة محمد الآية ١٥ قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسنٍ وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعْمُه ، وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين ، وأنهارٌ من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم)

وفي سورة الحاقة من الآية ١٨ إلى الآية ٢٤

قال تعالى (فأما من أُتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم إقرءوا كِتابي إنى ظننتُ أنى ملاقٍ حِسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية ، قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية) .

وفي سورة الإنسان من الآية ١٢ إلى الآية ٢٢ قال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظِلالها وذُللت قطوفها تذليلا ، ويطاف

عليهم بآنية من فضة ، وأكوابٍ كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ، ويُسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدانٌ مُخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثيابُ سُندس خُضرٌ وإستبرق ، وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيُكم مشكورا) .

وفي سورة النبأ من الآية ٣١ إلى الآية ٣٦ قال تعالى : (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا وكأسا دِهاقا . لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاءً حسابا)

وفي سورة المطففين من الآية ٢١ إلى الآية ٢٨ يقول عز من قائل : (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجُه من تسنيم عينا يشرب بها المُقربون) .

وفي سورة الغاشية من الآية ٨ إلى الآية ١٥ قال تعالى : (وجوهٌ يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سُرُر مرفوعة وأكوابٌ موضُوعة ، ونمارقُ مصفوفة ، وزرابيُّ مبثوثة) .

إن ذلك الوصف المعجز لما في الجنة من نعيم وما فيها من سرور ومن متاع مادى ومعنوى جدير بأن يشوق العباد لطاعة الله والعمل لمرضاته سعيا لبلوغ رضوانه والفوز بجناته ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يقهر العباد على الهدى لو كان يريد ولكنه سبحانه يكرمهم فيدعوهم ليستجيبوا عن طواعية فينالوا عليها الأجر ، وعن إرادة تعلو بها إنسانيتهم ، وترتفع إلى مستوى الأمانة التى ناطها الله بالإنسان ، أمانة الهداية المختارة ، وأمانة الإرادة المتصرفة عن قصد ومعرفة،

وقلوب العباد بين يديه سبحانه وتعالى ، وهم سوف يحشرون إليه فما لهم من مفر لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا يجب التطلع إلى ما عند الله من الأجر العظيم المدَّخر لعباده الأمناء على أماناته الصابرين المؤثرين المضحين المتقين .

والمسلم المؤمن يكافح الشر والفساد والظلم محتملا الأذى والتضحية حتى الشهادة ، وهو إنما يقدم لنفسه في الآخرة ، إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن ليس هناك طريق للآخرة لايمر بالدنيا ، وأن الدنيا صغيرة زهيدة ولكنها من نعم الله التى يجتاز منها إلى نعمة الله الكبرى ؛ ولذلك لا تستقيم الحياة بدون يقين بالآخرة ، وفضل الله الذى لا خازن لخزائنه ولا حاسب لعطاياه على المسلم المؤمن ذي الانقياد لأمر الله طاعة له ، واتباعا لمنهجه ، واحتكاماً إلى كتابه واعتصاما بحبله ونهجه ودينه فيفوز برضا الله وبجنته ذات النعيم المقيم قال تعالى : (ونودُوا أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كُنتم تعملون) الأعراف / ٤٣ .

والطريق إلى الجنة يمكن إجماله بين أربع كلمات إثنتان سالبتان وإثنتان موجبتان ، فالسالبتان : الشرك ، والمعاصي ، والموجبتان : الإيمان ، والعمل الصالح .

ومن هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة دار الإقامة والكرامة ، فالكلمتان الموجبتان تشير الأولى (لا إله إلا الله) والثانية (أن محمدا رسول الله) الخاص ببيان كيف يُعبد الله وحده في هذه الأكوان ، وأنه لا يتأتى لأحد أن يعبد الله بدون إرشاده صلى الله عليه وسلم وبيانه .

فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولنعتقد جازمين أن خالقنا هو الذي خلق هذه العوالم ودبرها بقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته ، وفيها تجلت صفاته العليا ، وأسماؤه الحسنى،

وبعلمه سبحانه وتعالى اتحد وجودها ، وانتظم شأنها ، وسارت إلى غاياتها في نظام محكم بديع .

ولنعتقد جازمين أنه لا وجود لمشارك لله في خلق هذه العوالم ولا مدبرلها سواه ؛ إذ لو كان ذلك لظهر في العوالم التضارب والتناقض ، ولأسرع إليها الفناء والزوال قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسُبحان الله رب العرش عما يصفون) الأنبياء /٢٢ .

ولنعتقد جازمين أن حاجة الناس إلى الرسل في بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم وإنزال الكتب عليهم ، من هنا وجب تصديق الرسل والإيمان بالكتب والملائكة ، والقدر ، والمعاد ، والحساب ، والجزاء ، وهذا هو الإيمان قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب مُنيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) سورة ق ٣٢ ـ ٣٥ .

وفي الجنة أيضا نعيم عظيم وهو رضا الله ، فقد ذكر تبارك وتعالى ما أعده لأوليائه وأهل وفادته من النعيم المقيم في جنات عدن ، ثم قال بعد ذلك (... ورضوان من الله أكبر) التوبة /٧٢ . ورضاه سبحانه وتعالى على عباده هو أكبر نعيم يلقونه في دار الإكرام ، وهذا الإمام البخاري يروي عن رسول الله صلى الله عيه وسلم قوله : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ـ يا أهل الجنة ؟ فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير بيديك !! فيقول رب العزة : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ياربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً قط من خلقك . فيقول رب العزة : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : أي شيء أفضل من ذلك ؟! فيقول سبحانه وتعالى : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً "

والله سبحانه وتعالى يزور أهل الجنة وما أشهى على النفس وأحب

لها من تلك الزيارة !! عن على رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : إذا سكن أهل الجنة أتاهم ملك فيقول لهم أن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد . قالوا يارسول الله : وما مائدة الخلد ؟! . قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغروب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون . فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا فيتجلى لهم فيخروا سجدا . فيقال لهم لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء !! .

وقال أيضا وتحية أهل الجنة (سلام عليكم)

بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور فرفعوا رؤسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ــ فقال سلام عليكم يأهل الجنة وهو قول الله تعالى في سورة يس (سلام قولا من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من نعيم ما داموا ينظرون إليه سبحانه حتى يحتجب عنهم ربهم وتبقى فيهم بركته ونوره . قال تعالى : (فأما الذين آمنوا وعملوا الصلحات فهم في روضة يحبرون) الروم/١٥.

فيا أيها السائرون دونكم الجنة دار السلام فتهيأوا للدخول منتظرين رسل ربكم المنعم الكريم وذلك بطاعته واتباع المنهج وسنة رسوله ويومها يفرح المتقون الحامدون الشاكرون ــ قال تعالى : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) فصلت /٤٦.

دعاء ورجاء

اللـه لا إله إلا هو الحى القيوم . الطاهر المطهر . نور السموات والأرض . لا إله إلا هو . واحد أحد . فرد صمد . ليس له شريك ولا صاحبة ولا ولد . ذو الملك والملكوت . القيوم على خلقه أجمعين . قال

تعالى (قل هُو الله أحد ألله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفوا أحـد) سورة الإخلاص.

سبحانه سبحانه . هو المتصف بالكمالات كلها . المنزه عن كل عيـب ونقص لا يماثله شيء من المخلوقات في ذاته ، ولا في صفاتـــه ، ولا في أفعاله ، ولا في أسمائه ؛ فأسمائه كلها حسنى !! قال تعالى :
) ولله الأسماء الحسنى فادعُوهُ بها) الأعراف / ١٨ . وصفاته صفـــات كمال وعظمة ، وأفعاله أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشـــارك . فليس كمثله شئ . المستحق لأن يُفرد بالعبادة ، والـــذل والخضـــوع !! وهو حق ، ووعده حق ، ولقاؤه حق ، وهو العدل ، وهو العليم الخبـير ، وهو الغفور الرحيم . فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح .

* * * * *

سبحانه سبحانه. هو المتصرف . الحاكم . المـدبـــر . المســخر . وهــو على ما يشاء قــديـر . نعم المعبــود . نعـم المذكـور . نعـم المشكور . نعم الوهَّــاب ، نعم المسئول . نعم العين . نعـــم المجيــب . سبحانه سبحانه الملك القدوس . السلام المؤمن . المهيمن العزيز الجبـــار المتكبر . اللطيف الخبير له ملك السموات والأرض وإليه المرجع وإليـــه المصير !! قال تعالى :
(وتبارك الذي له مُلكُ السَّموات والأرض وما بينهما وعندهُ عِلمُ الســاعةِ وإليه تُرجعُون) الزخرف / ٨٥ . سبحانه سبحانه لا تراه العيـــون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا تغيره الحوادث والدهور ، ذو الجبروت والعظمـــة والكبرياء . قال تعالى :
(وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الجاثية /٣٧.
بيده مقادير كل شئ ، وكتابة ما كان وما سيكون بـــاللوح المحفــوظ ـــ فقدرته لا يعجزها شئ ـــ وهو الفعال لما يريد ، وجميع الحوادث واقعـــة

بمشيئته وقدرته وهو العليم الحكيم ــ قال تعالى : (وما تشــاءُون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) الإنسان ٣٠ .

* * * * *

الله جل وعلا واحد بلا شريك ، لا تضاد في حكمه ، ولا تنازع فــي ملكه ذو الحكمة والبيان ، ذو الحجة والبرهان ، ذو العظمة والسلطان ، ذو العفو والغفران ، عالم الغيب والشهادة ــ ذو الجلال والإكــرام ، لا شيء عنده محال ، خالق كل شيء ، وأمره كن فيكون !! قال تعــالى : (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كــن فيكــون) البقرة / ١١٧ . سبحانه سبحانه . نعم الحسيب ، ونعم الوكيــل ، ونعــم المعين ، ونعم الرقيب ، ونعم المجيب ، رب كل شئ ومليكه ، وخــالق كل شيء ومُوجده . قال تعالى : (وخلق كــل شــيء فقــدره تقديــراً) الفرقان / ٢ .

سبحانه سجد له سواد الليل ، وسجد له ضوء النهار ، وسجد له شعاع الشمس ، وهديرالمياه ، وحفيــف الشــجر ، وكــل دابــة فــي الأرض والسموات . قال تعالى : (ولله يسجد ما في الســموات والأرض مــن دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) النحل /٤٩ . هــو مبعــث ســرور العارفين ، وهو رازق المقلين ، وهو راحم المســاكين ، وهــو رجــاء المذنبين ، ومنفس الكرب عن المكروبين ، ومفرج حزن المحزونين !! .

* * * * *

سبحانه هو المتكبر . الحميد . المجيد . المهيمن . السلام . العزيــز . القاهر اللطيف . سامع كل صوت . وباعث النفوس بعد الموت . ســبحانه لا تشتبه عليه الأصوات ، عظيم الشأن ، واضح البرهان ، فالق الحــب والنوى ، ومنشيء الأجساد بعد البلى ، رب الأرباب ، ومسبب الأسباب، الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، المحيي المميت ، وهو على كل شــئ

قدير . قال تعالى : (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير) الحديد / ٢ .

عليم بالسرائر الخفية ، وما تكنه النفس البشرية من خير أو شر فهو سبحانه وتعالى يعلمه ، وهو المنفرد بعلم المغيبات والأسرار ، وهو الرب المعبود لا شريك له ، وليس كمثله شيء . قال تعالى : (وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يحاسبكم به الله) البقرة / ٢٨٤ .

يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد قطر الأمطار ، وما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار . يقول سبحانه: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) الفرقان / ٦٢ .

* * * * *

ذو العرش المجيد ـ المبديء المعيد . الفعال لما يريد . الغني المغني. الحكم العدل . الذى عم عدله كل البشر . العزيز الحكيم . الخبير البصير . المنتقم الجبار شديد العقاب . الرءوف الرحيم . الغفور الودود . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . محيط بعمل العبد ، وبسره وجهره كفيل المؤمنين بتأييده. مقسم الأرزاق . يجزل العطاء ، ويمن بفضله على من يشاء من عباده. المعطي الوهاب ـ الرازق ولا رازق سواه ، المانح ولا مانح غيره. المحيط بكل شيء علما ـ الذي يُطعِم ولا يُطعَم . وهو سبحانه القائل وقوله الحق : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات / ٥٨ .

ليس له حاجب ينادى ، ولا صاحب يخشى ، ولا وزير يؤتى ، ولا غيره رب يدعى ، يُسكن رعب الخائفين وأهل البلية ، ويُقبل بفضله وأمنه على كل نفس زكية ، والحوائج عنده مقضية !! .

* * * * *

الخالق البارىء المصور ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، خلق الخلق بقدرته ، وأعزهم بهدايته ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

رب الجنة والنار ، رب النبيين والأخيار ، رب الصديقين والأبرار ، الملك الحق ، قيوم بنفسه ، مقيم لكل من سواه ، غنيٌّ عن كل من سواه، وكل من سواه فقير إليه ، لا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، بذكره تطمن القلوب ، وتتشرح الصدور . سبحانه قال وقوله الحق : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد / ٢٨ .

يعلم مراد المريدين ، وما بضمير المضمرين ، الحي الذي لا يشبهه حيّ !! ولا يحتاج إلى حي !! ويميت كل حي !! يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وإليه النشور !! .

* * * * *

سبحانه سبحانه . أولٌ بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، وأمره بالكاف والنون ذو القوة المتين ، الزكي الطاهر المطهر المبارك ، الحنان المنان ، القدوس الحى الذي لا يموت ، بديع السموات والأرض ، ونورهن وقيومهن ، عالم الغيب والشهادة ، ذو العزة والجلال والعظمة (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) التغابن / ١٨ .

بيده ملكوت كل شيء ، المنعم المعز المذل المعطى الوهاب المحيط بكل شيء علما ، القائم على كل نفس بما كسبت ، قال تعالى : (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور) فاطر / ٣٨ . لا تحصى العباد نعماءه ولا تبلغ الخلائق شكره ، لاتدرك الأفهام جلاله ، ولا تنال الأوهام كنهه . جعل الظلمات والنور ، والسماء بقدرته مبنية ،

والأرض بقدرته مدحية ، والشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة ــ قال تعالى : (وهو الذى خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الأنبياء / ٣٣ .

* * * * *

سبحانه سبحانه !! القادر المقتدر . الحميد المجيد . الحفيظ المانع القويّ فهو الذى يغفر ذنبا ، ويفك أسيراً ، ويفرج كربا ، وينصر ضعيفا ويجبر كسيرا ، ويغنى فقيراً !! ويسعد ويشقي . ويضل ويهدي ، صاحب كل غريب ، وأنيس كل وحيد ، وشافي كل مريض ، ومغيث كل مستغيث . ذو العظمة والهيبة والسلطان والكمال الأزلى القديم الأبديّ . الباقى بلا انتقال ــ والمقدس عن الشبيه والنظير الغالب في حكمه بلا نزاع ولا جدال . القدير الذى قدر الأرزاق والآجال . المتفرد بالخلق والتدبير . مقدر الآجال . المالك لكل ما في هذا الكون ، المتفرد بالسيادة والأمر والنهي . الحكيم في شرعه وفي قدره . لا يخلق شيئا عبثا . ولا يترك خلقه سدى ، خلق عباده حنفاء ، والحنيف هو المائل إليه المعرض عن غيره ، وهم بفطرتهم يميلون إليه ، ويشتاقون إليه ، ولا يقر لهم قرار إلا بمعرفته وتوحيده ومحبته وطاعته . ومن رحمهم الله يجعل غاية حياتهم ووجودهم في إفراده وحده بالعبادة .

* * * * *

بالبر معروف وبالإحسان موصوف ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار . مالك يوم الدين ، سبوح قدوس . امتلأ الكون بأنواره ، وأسراره ، وهباته . قال تعالى : (يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يُتم نُوره ولو كره الكافرون) التوبة / ٣٢ . وليّ حميد . جواد مجيد . كاشف الكربات ، وباسط الخيرات ــ غفور رحيم، وسعت رحمته كل شيء . قال تعالى : (قل يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعـــا إنه هو الغفور الرحيم) الـــزمر / ٥٣ . منقذ الغرقى ، ومنجي الهلكى، وسامع كل نجوى ، ورافع كل بلوى ، ومجيب كل دعاء : (وإذا ســـألك عبادى عنى فإني قريب أُجيبُ دعوة الداع إذا دعان) البقرة / ١٨٦ .

* * * * *

يا من تجيب دعا المضطر في الظلم ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
هب لى بجودك ما أخطأت من جرم يــا مـــن إليه أشـار الخلــق بالكرم
إن كان عفـــوك لم يسبق لمجترم فمن يجــود على العاصـــين بالنعم

سبحانك سبحانك لقد نجيت نوحا من الغرق ، وغفرت لداود ذنبـــه ، وكشفت الضر عن أيوب وصرفت عن يوســـف الســوء والفحشــاء ، وجعلت النار على إبراهيم بردا وسلاما !! لا إله إلا أنت سبحانك فـأنت على كل شئ قدير . هديت أهل طاعتك إلى صراطك المستقيم ، ومنحـت أهل محبتك جنات النعيم .

وأنت المتصرف فقد قلت وقولك حق : (قل كلٌ من عند الله) النســاء / ٧٨ .

وأنت المنعم مصداقا لقولك : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل / ٥٣.

وأنت المجير ولا يجار عليك !! .

* * * * *

سبحانك ! وعدك صدق ، وعذابك عدل ، وأنت خير المقصوديـــن ، وخير المسئولين ، وخير الموصوفين . وأنت الذي خلق فسوى . وقـــدر فهدى ، كل شيء موجود به ، وكل شئ هالك إلا وجهـــه . فـــي قربــه لطيف ، وفي مجده حميد ، وفي عزه عظيم . له الآخرة والأولى . لـــــه جنة المأوى . قال تعالى : (وأزلفت الجنةُ للمتقين غير بعيد . هذا مـــا توعدون لكل أواب حفيظ) سورة ق / ٣١،٣٢ .

سبحانه ذو الفضل والكرم ، ذو العرش المجيد ، العظمة بهاؤه ، والكبرياء رداؤه ، لا يغيب عن قلوب العارفين ، يعلم حوائج السائلين ، ويسمع أنين الواهنين حسن التجاوز ، واسع المغفرة ، حليم على من عصاه ، جعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا ، وجعل الظل والحرور ، وخلق الظلمات والنور !! .

* * * * *

كريم الصفح ، يضاعف الحسنات ، الكافي ، المعافي ، رافع الدرجات ، عظيم البركات ، خير الغافرين ، خير الناصرين ، خير الحاكمين ، خير الوارثين الحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، والسر عنده علانية ، والخلق خلقه والعباد عباده ، في كل شيء له آية ، قال تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات /٢١. تواضع كل شئ لعظمته ، وخضع كل شئ لهيبته ، وانقاد كل شئ لخشيته ، دليل المتحيِّرين ، وأمان الخائفين ، وعون المؤمنين .

* * * * *

سبحانه سبحانه . ذل كل شيء لعزته ، وانقاد كل شيء لخشيته ، ودكت الجبال من مخافته . ياذا الجود والعطاء ، والمجد والثناء ، والعز والبقاء ، والآلاء والنعماء ، صانع كل مصنوع ، وخالق كل مخلوق ، وساتر كل مذنب ، وملجأ كل مطرود ، لا غاية لقدرته ، ولا نهاية لرحمته ، خالق اللوح والقلم ، خالق الأشياء من العدم . له الصفات العليا، وله الأسماء الحسنى ، بيده النفع والضر ، منزل الغيث ، ومحيي الأرض ، قال وقوله حق : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات ، وحب الحصيد) سورة ق / ٩ .

سميع لمن دعاه ، ليس وراءه منتهى ، يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، عليم بالمحسنين ، عليم بالمتقين ، عليم بالمجاهدين ، أعلم

بمن ضل عن سبيله ، وأعلم بمن اهتدى .

* * * * *

سبحانه سبحانه . شديد المحال ، يلجأ إليه الخائفون ، وإليه يفزع المذنبون ، وإليه يرغب الزاهدون ، وعليه يتوكل المتوكلون ، غالب غير مغلوب ، وصانع غير مصنوع ، وخالق غير مخلوق ، ومالك غير مملوك ، وقاهر غير مقهور ، كلامه شريف ، وفعله لطيف ، ويَسأل ولا يُسأل ، يحب التوابين ، ويحب الصابرين ، عليم بالشاكرين ، وبابه مفتوح للطالبين ، سبيله واضح للقاصدين ، آياته برهان للناظرين ، كتابه تذكرة للمنتفعين ، تبارك اسمه وتعالى جده ، وتقدست أسماؤه ، وتزلزلت الأرض من مخافته ، ويسبح الرعد بحمده ، وتسبح الملائكة من خيفته ، مطلع على أفعال العباد في ضياء النهار أو سواد الليل في فلاة أو خلاء ، في السر أو العلانية ، نعوذ به من الغفلة ، ونسأله سبحانه أن يجعلنا من أولي الألباب .

* * * *

تواضع كل شيء لعظمته ، وخضع كل شي لهيبته ، إله يفرح لتوبة عبده وهو الغني والعبد فقير ، إله يدعو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ، رب عظيمٌ يداول الأيام بين الناس فيبدل بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الضعف قوة ، ويجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، ومع كل عسر يسرا !! .

عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " رواه مسلم .

فالشعور بعظمة الله وقدرته الواسعة ، وعلمه الشامل وكرمه الرحب ، وعفوه الجميل ، ومودته لخلقه ، وبره بهم إنَّ ذلك يفعم القلوب بالولاء ،

ويطلق الألسنة بالثناء ، ويشعر الإنسان من أعماق قلبه أن مـــا دون الله هباء ، عندئذٍ لا تروعه سطوة سلطان ، ولا تخدعه ثروة غنى . فـالتعلق بغير الله عجز والتطلع إلى سواه حُمق ، والله الغنيُّ ، ونحن الفقراء إليه، نتوسل إليه بأسمائه ، وصفاته، والأنبياء توسلوا إلى الله بذلك ـ فقـال ذو النون (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبيـاء / ٨٧ . ومـوسى عليه السلام قـال : (إني عذت بربي وربكم) غـافر /٢٧. وإبراهيم واسماعيل عليهما السلام قالا : (ربنا تقبل منا إنك أنت السـميع العليم) الـبـقـرة / ١١٢ . وآدم وحواء قالا : (ربنا ظلمنـا أنفسـنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن مـن الخاسـرين) الأعـراف/٢٣. ويوسف قال : (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحـاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخـرة توفنـي مسـلما وألحقني بالصالحين) يـوسف /١٠١.

فـغـنـى الـرب وافتقار العبد أمر يقتضى أن يتوسل العبد الفقـير إلى الرب الغني عز وجل ؛ كي ينجو العبد مما يُرهـب ، ويظفـر بمـا يحب ويرغب قال تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هـو الغنى الحميد) فاطر /١٥.

فحب الله وتقواه وعبادته أعظم نعيم في هذه الدنيا !! ولا سـعادة إلا إذا توجهت قلوبنا وجوارحنا إلى خالقها وفاطرها وبارئها دون سـواه ، والاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ، ومليكه قال تعـالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) الـقـلـم / ٣٤ . وقال أيضا (بـل الله فاعبد وكن من الشاكرين) الـزمـر / ٦٦ .

والإيمان بملائكته وكتبه ، ورسله ، ومخافته ، وخشيته وتقواه في كـل أعمالنا . قال تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عـن نفـس شـيئا) البقرة / ٤٨ .

أسألك ياالله أن تقذف في قلبي حبك حتى لا يكون لي شغل سـواك ، وأن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، ولك الحمد لا إله إلا أنت يـا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض ـ ياذا الجلال والإكرام . آمين.

* * * * *

سبحانه سبحانه . كَـرَّم الإنسان فخلقه على أحسن صورة ، ومـيَّزه بالعقل والفكر ، والمنطق ، وجعله خليفته في أرضه ليسكنها ويعمرهـا ، وسخر له ما في الكون جميعا لمصلحته وسعادته ، وأول مـا خلـق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر ثم قال لـه عـز وجـل : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ـ بك آخذ ، وبك أعطـي وبك أثيب وبك أعاقب !! وفي الحديث لكـل شـيء دعامـة ودعامـة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته .... ، أما سمعت قـول الفجـار وهم في النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السـعير) الـمـلك / ١٠ . ومن هنا كان العقل محققا للعدالة السماوية ، ومنفـذا للإرادة الإلـهية قال تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في الـبر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علـى كثـير مـمن خلقنـا تفضيلا) الإسـراء / ٧٠ .

فالإنسان في هذه الآية الكريمة شهد لـه خالقـه الأعظـم بالمكانـة والتفضيل بين الخلائق أجمعيـن وأن الله سـبحانه وتعـالى إختصـه بالتكريم وخصه بالتفضيل وأنه سبحانه وتعالى أوجد كل ما عداه لأجلـه قال سبحانه وتعالى في حديث قدسى : " يـاابن آدم لا تخـف مـن ذي سلطان مادام سلطاني لا يزول ، ولا تخف من فوات الرزق مـا دامـت خزائني مملوءة لا تنفد ، خلقت الأشياء كلها من أجلك ، وخلقتـك مـن أجلى . فسر في طاعتي يطعك كل شيء "

فمن عبده سبحانه بالحب والخوف والرجـاء وكـان مـن الصـابرين

الشاكرين الحامدين ، لاقصد له في عمله وقوله وجهاده إلا وجه الله والدار الآخرة ــــ فهو المؤمن الموحد ذو الإخلاص ، ويفوز بمشيئة الله برضوان ربه . قال تعالى : (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) طه / ١٢٣ .

فالله سبحانه وتعالى بيده كل شيء ، وبيده مفاتح الغيب . قال تعالى: (إن الله عنده عِلمُ الساعة ، ويُنزلُ الغيث ، ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) لقمان / ٣٤ .

وهذه هي مفاتح الغيب التى إستأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها.

مع العبادات العملية والقلبية

يفتح الإسلام الحنيف للعابد الطائع ألوانا من القربات ، وصنوفا من العبادات التي تقرب العبد من ربه ، وترفعه درجات ودرجات ، وهذه الأمور بمثابة السبل العديدة التي توصل إلى غاية واحدة هي رضوان الله عز وجل ونيل مثوبته ، والأمن من عذابه ، واللياذ بجنابه ، والنجاة من غضبه ونقمته .

ومن رحمة الله بالمؤمنين أن يسر هذه السبل ، وحث عليها ، ورغّب في سلوك دروبها لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً . ومن هذه العبادات القلبية والعملية أو السلوكية : الخوف من الله ، وحسن الخلق ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وكفالة الأيتام ، والرضا بالقضاء ، والتواضع ، والوفاء بالعهد والوعد ، والمداومة على الصدقة ... ، وغيرها كثير . ولأهمية هذه الألوان من العبادات وأثرها في استقامة العابدين أُخص بعضها بالبيان في الفقرات التالية وبالله التوفيق ومنه

العون، وعليه التكلان

الخـوف مـن الله

مخافة الله عز وجل هى حبس النفس عن الشهوات ، واليقين بـأن الله سبحانه وتعالى رقيب على كل أحوال العباد ، وأنه سميع بصير ، فـهو سبحانه يدرك الأبصار والأبصار لا تدركه والخوف من الله من أجمـل الصفات التى يتصف بها الإنسان ، وهى الطريق الأقوم السـليم لنجـاح العبد المؤمن الذى يخاف الله ويخشاه في عمله وبيته ، وفـي مسـتقبله . فيكون الله سبحانه وتعالى دائما سنده وينال ثوابه ورضاه .

قال تعالى : (فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) التوبة / ١٣ .

وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع " . وقال أيضا : " دمعة العاصي تطفيء غضـب الرب " . وقال صلى الله عليه وسلم : " من رُزقت عيناه خشية الله كـان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد في ميزانه !! وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور مـا لا عيـن رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "

قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنـة هى المأوى) النازعات /٤١ .

ومخافة الله في كل الأعمال تولد الثقة بيـن الأفـراد والجماعـات ؛ فالإنسان الذى يخاف الله ويخشاه بقلبه وعينيه وجوارحه هـو المؤمـن السعيد في الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكـم ورسوله والمؤمنون) التوبة / ١٠٥ . وقال عليه السلام " مـن غـشَّ أمتي فليس مني "

قال تعالى: (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاط المستقيم ذلـك خـير

وأحسن تأويلا) الإسراء / ٣٥ . حُكِيَ أن رجلا من الصحابة كان عنده ثوب فيه عيب ، وفي غيابه باع غلامه الثوب فلما حضر التاجر وأخبره الغلام ببيع الثوب قال التاجر للغلام : هل أخبرت المشتري بما في الثوب من عيب . فقال الغلام : لا فأمره التاجر أن يذهب إلى المشترى ويخبره بما في الثوب من عيب ، ويحضر الثوب !!.

هذا هو صوت الإيمان ومخافة الله وخشيته ، وهذه هي الأمانة التي أمر الله بها ، وهذا هو عدم الغش ، وهذا هو رضا الله ــ قال عليٌّ كرم الله وجهه ــ من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النار مهربا :

"من عرف الله فأطاعه ، ومن عرف الشيطان فعصاه ، ومن عرف الحق فاتبعه ومن عرف الباطل فأتقاه ، ومن عرف الدنيا فرفضها، ومن عرف الآخرة فطلبها !! ". و قال عليه الصلاة والسلام : " إن من أخيار أمتي قوما يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ، ويبكون سراً من خوف الله وعقابه !! أبدانهم في الأرض ، وقلوبهم في السماء ، وأرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة ، يمشون بالسكينة ، ويتقربون بالوسيلة ، وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب "

فهذه هي خشية الله ، ومخافة العقاب الذى يسوء في يوم لقائه الرهيب ومن أنواع العبادات التى أمر الله بها ــ الدعاء ــ والخوف ــ والرجاء ــ والتوكل ــ والرهبة ــ والخشوع ــ والخشية ــ والإنابة ــ والإستعانة ، وغير ذلك من العبادات التى أمر الله بها ، وكلف العابدين الطائعين بأن يقصدوه بها وحده ، مصداق ذلك في قوله : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) الجن / ١٨ . ودليل الخوف قوله تعالى : (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) آل عمران /١٧٥ .

ودليل الخشية قوله تعالى (فلا تخشوهم واخشوني) البقرة / ١٥٠ . ودليل الإنابة قوله عز وجل : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) الزمر / ٥٤ . ودليل الإستعانة (إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة / ٥ . ودليل التوكل (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) المائدة / ٢٣ . ودليل الرجاء قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف /٨١ .

وهكذا فإن فمن يطع الله ورسوله ويخش الله ويخافه فأولئك هم الفائزون الناجحون في دنياهم وأخراهم ؛ فالطاعة لله ورسوله تقتضي السير على المنهج القويم الذى رسمه الله للبشرية عن علم وحكمة . وخشية الله ومخافته هي الحارس الذى يكفل الإستقامة على المنهج ، وإغفال المغريات التى ينفر منها طبع المؤمن ويستعلى عليها ضميره . فالمؤمن الحق يخاف الله ويطيعه ، ويخشاه ولا يحني رأسه إلا لله سبحانه وتعالى.

التسبيح والتحميد

وهو من أسمى العبادات لأن التسبيح والتحميد ثناء على الله عز وجل بما هو أهله . وقد ورد في الحديث الشريف أن الباقيات الصالحات هى : " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " .

ومن لزم ذكر الله في هذه الدنيا كان المهاد لكل خير ، والأساس لكل حسن لأنه روح كل عبادة تصعد من الأرض إلى السماء ، وهوتنزيه للخالق عز وجل عن كل نقص ، ومباعدته من كل عيب ، فلا يشعر الإنسان مع ذات الله إلا كل جلال وجمال ، والمؤمن هو الذى يحس ذلك ويألفه .

والله سبحانه وتعالى الذى أعطى الأفلاك ضخامتها وسعتها ، وخلق

البشر وأعطى العقول خفاءها وذكاءها ، وهو الذى من حقه أن يُعـــرف بأنه الواحد الخالق المعبود البديع فليس كمثله شيء وهو على كـل شـئ قدير . وأن نحمده سبحانه في السراء والضراء ، والمسلم يشكر نعمة الله التى في عنقه ، ويقدر ما لديه من مننه ، لا ينكرها ولا يزدريها ، ومـن هنا كان حمده عبودية كاملة . وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ مـن طعامه وشرابه يقول: "الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسـلمين" !! أليس من حق القيم على شئون الحياة ، المنفق على جماهير الأحيـاء أن يعرف بأنه العلي القيوم ، الكريم المنان ، فالشعور بعظمـة الله وقدرتـه يطلق الألسنة بالثناء . من أجل ذلك حفل القرآن الكريم والسنة المطـهرة بالتسبيح والتحميد والتنزية ، والتمجيد ، تربية للمؤمن وإرشادا ؛ لتكـون تلك الأذكار والأدعية زادا للمؤمن ، ويظل لسانه رطبا بترديدها . وهـذه الأذكار مبثوثة في الصلاة التي يؤديها المسلم خمس مرات فـي اليـوم والليلة ، فنجد تلك الأدعية والأذكار منسقة مرتبة ؛ فعندما يقف المصلـي بين يدي ربه ويشرع في قراءة فاتحة الكتاب تجده يقـول : (الحمـد لله رب العالمين) وعندما يركع يقول (سبحان ربي العظيم) وعندما يسـجد يقول (سبحان ربي الأعلى) وعندما يقعد في التشهد يقول (التحيـات لله) وعندما ينهي صلاته يعود مرة أخرى لتسبيح الله وتكبيره وتحميده فـي أعقاب الصلوات المكتوبات .

والمسلم بعد ذلك وقبله يُشغل بذكر الله ، ويعمر وقته مقتديا برسـوله الكريم الذى أضاءت حياته بأشعة لا حصر لها من هذه الصلة السـماوية العالية ــ ذلك أن الله لما حمله أعباء الرسالة أرشده إلى أن أعون شـيء على النهوض بها والقيام بحقوقـها هـو إتصـال التسـبيح والتحميـد قال تعالى:

(وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليـل

فسبحه وأدبار النجوم) الطـــور /٤٨ . ومن العبث أن يتصور أحدٌ أن التسبيح والتحميد حركة شفتين ، واضطراب لسان !! كلا . إنه تفتح قلب واتضاح غاية ، وسفر نفس إلى بارئها ؛ فالليل والنهار خطوات سـير ، ومراحل طريق ، وقول لاإله إلا الله هى الكلمة العليا وهى القطب الـذى تدور عليه رحى الإسلام ، والقاعدة التى بنيت عليها أركان الدين ، وهى أعلى شُعب الإيمان ، وإذا أحب الله إنسانا رطب بذكره لسانه ، وأنعـش به جنانه ، وبسر له ما يردده إليه إن بعُد ، وما يقيمـه علـى الصـراط إن شرد.

ومن هنا وجب أن نحوّل التسبيح من قول باللسان إ لى شـعور فـي القلب إلى رفعة في السلوك ، وأن يضبط المسلم مشاعره فـي السـراء والضراء ، ويربطها بمشيئة الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : " لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال يامحمد أقـرىء أمتـك منـى السـلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسـها : سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر " .

فالتسبيح والتحميد بكل أنواعه يوصل لرضا الله وجنته ونعيمها فعـن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمـن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " رواه البخار. ، وعنه أبـي ذر رضي الله عنه قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ألا أخـبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ إن أحب الكلام إلى الله : سـبحان الله وبحمـده رواه مسلم.

حسـن الخـلق

حسن الخلق هو عطية الله العظمى لعباده المؤمنين وهو صلة بين الله وبين العبد وأفضل المؤمنين إيمانا أ حسنهم خلقا . قال عليه الصلاة والسلام " إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها " . وقال أيضا : " خير ما أعطى العبد حسن الخلق ، وإن الله ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد في سبيل الله ، يغدو عليه الأجر ويروح". ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوات : " اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت " !! .

فحسن الخلق ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة واكتساب شيم شريفة ، ومن علامات حسن الخلق أن يكون الإنسان كثير الحياء ، قليل الزلل ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صادق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الفضول ، براً ، وصولا ، وقورا ، صبورا ، شكورا ، راضيا ، حليما ، رفيقا ، عفيفا ، ليس لعانا ، ولا نماما ، ولا مغتابا ، ولا عجولا ، ولا حقودا ، ولا بخيلا ، ولا حسودا ، ويكون باشا ، هاشا يحب في الله ، ويرضى في الله ، ويغضب في الله !! . قال الحسن البصرى حقيقة حسن الخلق : " بذل المعروف ، وكف الأذى وطلاقة الوجه " . وقال عليه الصلاة والسلام " لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء " وحسن الخلق دليل كمال الإيمان ، وقد فتح النبي عليه السلام بخلقه مثل ما فتح بسيفه ، وعبد ربه بأدبه كما عبده بصلاته وصومه ولقد قال عليه الصلاة والسلام : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ويبلغ المرء بحسن خلقه ما يبلغه بصلاته وصيامه ".

وإن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد .

إن المكارم أبواب مصنفة : فالعقل أولها ، والصمت ثانيها ، والعلم

ثالثها، والحلم رابعها ، والجود خامسها والفضـل سادسـها ، والصـبر سابعها والشكر ثامنها ، واللين تاسعها ، والصدق عاشرها . وعن عائشة رضي الله عنها: "إن العبد ليبلـغ بحسـن خلقـه درجـة قـائم الليـل وصائم النهار".

ومن حسن الخلق مسلك من وردوا في قول النبـي عليـه الصـلاة والسلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلـه ... وهـم : " إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله سبحانه وتعالى ، رجل قلبه معلـق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجـل دعته إمرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكـر الله خاليا ففاضت عيناه "

فهذه الأعمال والطاعات من حسن الخلق وهى أمور حميدة نبيله ينال عليها العبد ثواب الله ورضاه ، وهى عطيـة الله وفضلـه علـى عبـده المؤمن ، إذ تبدر أفعاله وأعماله منبعثة من صفاته باخلاص لله ، وبنقـاء وصفاء ، وضمير حي لا نفاق فيه ولا رياء ، بل تصدر عن حب لله عز وجل ، ورغبة صادقة في طاعته ولزوم ما أمر به ، واجتناب ما نـهى عنه ، وعندما سـئـل الرسول صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلـق تـلا قول الله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجـاهلين) الأعـراف / ١٩٩ . ثم قال : " وأن تصل من قطعك ، وتعطـي مـن حرمك ، وتعفو عمن ظلمك " !! .

ومن حسن الخلق التقوى ؛ فالتقوى هي الزاد ، وفزادها يحيى القلـوب ويوقظها ، وأيضا هو زاد المغفرة من الخطايا ، الزاد المطمئـن الـذى يسكب الهدوء ، وزاد الأمل في فضل الله العظيم ، يوم تزيـد الأزوار ، وتقصر الأعمال فتقوى الله تجعل في القلب فرقانا يكشف له متعرجـات

الطريق ، وهو الحقيقة ككل حقائق العقيدة لا يعرفها إلا من ذاقها فعـــلا قال تعالى : (يأيها الناسُ إتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شـــئ عظيــم) الــحـــــج / ١ . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : سئل رســـول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال :

"تقوى الله وحسن الخلق ، واجتناب المنكرات " وأكرم الخلق عنـــد الله أتقاهم قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقـــاكم) الحجــرات / ١٣ .

والله سبحانه وتعالى مع المتقين برعايته وعونه وهداه قال تعالى :

(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محســـنون) النحــل / ١٢٨ . وهــو سبحانه وتعالى ينجى المتقين من هول العذاب وهوانه يوم القيامة قـــال تعالى : (وينجـــى اللهُ الذيـــن إتقـــوا بمفازتـــهم لاْ يمســـهم الســوء) الــزمــر/٦١ . والله يغدق على المتقين خيراته وبركاته ــ قال تعــالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليـــهم بركـــات مـــن الســماء والأرض) الأعراف / ٩٦ .

وقد جعل المولى عز وجل للمتقين من كل كرب فرجا ، ومـــن كــل ضيق مخرجا ــ قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقـــه من حيث لا يحتسبُ) الطــلاق ٢،٣ . والله يجعل أمر المتقيـــن دائمـــا يسرا قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) الطـــــلاق/٤ .

والمتقون عند ربهم في موضع الإكرام والنعيم . قال تعالى (إن المتقين في جنات ونعيم) الطـــور/ ١٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طوبـــى للأتقيـــاء الأثريـــاء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، قلوبـــهم مصـــابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة ".

وأثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق كمـــا أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأنشد أبو الدرداء يوما

يريد المرء أن يؤتــى مُناه ويــأبـــى اللـــه إلا ما أرادا

يقــول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما إستــفادا

والتقوى وحسن الخلق جُـمَّــاع الخير كله وهى خير مــــا يســتفيده المرء بعد الإيمان بالله تعالى ، والتقوى هي وصيــــة الله فـــي الأوليــن والآخرين ، وهى خير الزاد ـــ قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الـــزاد التقوى واتقون يأولي الألباب) البقرة / ١٩٧ .

وإن النفس البشرية لا ترتقى إلا حين تتعامل في كل أمورها مباشـــرة مع الله متجردة عن كل ما عداه ، وحين تستشعر تقواه وأن عينه علـــى خفايا الضمير وذات الصدور ، وتـــنزع إليــه مــن محابــاة الأقــارب والمعارف في جميع الأحوال ، ويطلب الله سبحانه وتعالى التقــوى فــي كل الأمور ويأمر بالعدل ـــ قال تعالى :

(إن الله يأمــرّ بالعـــدل والإحسان) النحــل / ٩٠ .

والعدل ميزان الله في الأرض به يرد الله من الشديد على الضعيـــف من الصادق على الكاذب ، ومن المبطل على المحق . وبالعدل يصلـــح الناس وهو من صفات تقوى الله . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، واتقـــوا الله في عمل ونطق وفعل والهوى هو ما تميل إليه النفـــس ، والقـــرآن الكريم ينهى عن إتباع ما تميل له النفس فحب المال هوى ، وحب الأهـل والأقربين هوى ، والعطف على الفقير في موطن الشهادة والحكم هوى، ومجاملة الغنى هوى ، والتعصب للعشيرة والدولة والوطن في موضـــع الشهادة والحكم هوى ... ، وهذه كلها مما ينهى الله الذيـــن آمنـــوا عـــن التأثر بها ، والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها ـــ فلا بد أن يوقــن المؤمن بأن الله دائما رقيب عليه فتدفعه هذه المراقبـــة الدائمـــة لله إلـــى مستوى من التقوى تشكل سلوكه. قال على كرم الله وجهه: " التقوى هـــى

الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ".

وبهذه المعانى السامية التى يتذوقها المؤمن من التقوى يحقق الهدف الذى خلق من أجله ، وهو عبادة الله والعمل بما أمر به وإجتناب ما نهى عنه ، وتقواه في كل وقت وفي كل مكان . قال تعالى : (ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون) يوسف / ٥٧ .

بـرُّ الـوالـديـن

من أسمى الأعمال التى تنفع العبد وينال بها ثواب الله ولقد وصَّى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بالبر بالوالدين ؛ لأن للأم والأب الفضل الأكبر نحو الأبناء سواء كانوا ذكورا أم إناثا . فالوالدان يبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال في غير تأفف ولا شكوى ، بل في نشاط وفرح وسرور ، وكأنهما اللذان يأخذان . فيجب على الأبناء أن يقدروا ما قام به الأب والأم نحوهم ــ فالأم التى حملت ثم ولدت ثم أرضعت ثم ربت وتعبت ، وسهرت الليالى في الصغر والكبر للحفاظ على صحة الأبناء ومستقبلهم، وعلى حياتهم بكل ما تملك من جهد وقوة ، وحنان وعطف في سبيل رعاية فلذة كبدها ، والأب الذى كافح وناضل وتعب وفكر ، وهرول يمينا ويسارا بكل مكان بعيد وقريب ، للحصول على الرزق الذى قدره الله له لإنفاقه على أولاده حتى كبروا وطمأن الأب والأم على حياتهم ومستقبلهم ، وأصبح كل منهم وقد نال مكانة في المجتمع ، وأصبح مسئولا . ماذا تستحق منهم هذه الرسالة النبيلة السامية التي قام بها الوالدان ؟ ألا تستحق الوفاء لهما ، والبر بهما ، وطاعتهما ، والإحسان إليهما ، وذلك بإكرامهما والشفقة عليهما ، والتلطف بهما ،

وتوقيرهما ، وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما ، وتكريمهما بالقول والفعل ، وعدم نهرهما وألا يؤثر الأبناء عليهما أحداً ، وعلى الأبناء أن يقدموا للوالدين من أنواع البر والإحسان وطاعتهما في كل ما يأمران به أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله ، وأن يقولا لهما قولا حسنا مقرونا بالاحترام ، ولا ينبغي للولد أن يرفع يد والده عنه إذا ضربه لتأديبه، ومن شدَّد النظر إلى والديه لم يبرهما ومن أدخل عليهما حزنا فقد عقهما . قال الحسن البصري : " حق الوالد أعظم وحق الوالدة ألزم " . والله سبحانه وتعالى حث في كتابه الكريم على برِّ الوالدين والإحسان إليهما . قال تعالى :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) الإسراء / ٢٣ .

وفي الحديث : " أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ : بسم الله الرحمن الرحيم " إنى أنا الله لا إله إلا أنا . من رضي عنه والداه فأنا عنه راض) وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أصبح وأمسى مرضيا لوالديه أصبح وأمسى له بابان إلى الجنة " . وقال أيضا العبد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين في أعلى عليين " قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الأحقاف / ١٥

وقال عليه الصلاة والسلام : " من حج عن والديه بعد موتهما كتب الله له عتقا من النار ، ومن زار قبر والديه أو أحدهما كل جمعة غفر الله له وكتب له براءة من النار " . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة ، وسورة الإخلاص والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ استغفر الله خمس عشرة مرة وصلى على النبي خمس عشرة مرة ، وجعل ثوابهما لوالديه فقد أدَّى حقهما ولا يعلم ثوابهما إلا الله ".

ولقد وصانا ربُّنـــا أن نحسن إلى الوالدين في كل أطـــوار حياتنـــا وفي كل لحظة تمر علينا من عمرنا ؛ لأن عقوق الوالدين مـــن الكبـــائر ويعتبر من عق والديه جبارا شقيا . وهذه القصة حكيت عـــن موســـى عليه السلام تدل على فضل الله على من بر بأمه " لما خـــرج موســـى عليه السلام من أنطاكية يريد الشام تعب فأوحى الله إليه أن يأوى إلـــى سفح جبل فيه عبد لي فاسأله شيئا تركبه ــ فوجده موسى يصلى فلمـــا فرغ قال موسى : يا عبد الله أريد شيئا أركبه فنظر العبد إلـــى الســـماء وإذا بسحابة سائرة فقال أيتها السحابة أنزلي وأحملي هذا العبد حيث يريد ــ فنزلت فركبها موسى عليه السلام . فقال الله ياموســـى أتـــدري بـــأي شيء أعطيته هذه المنزلة ؟ قال لا يارب قال سبحانه وتعالى : ســـألته أمُّه حاجة عـــند وفاتها فبادر إلى قضائها فقالت الأم ــ ياإلهى كما قضى حاجتي فأقض حاجته ، ولو سألني أن أقلب الخضـــراء علـــى الغـــبراء لفعلت ــ أن فضل الله عظيم وثوابه جزيل على من يعمل لرضا والديـــه قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وَهـــناً علـــى وَهـــن وفِصَالُهُ في عامَيْن أن أشكر لـــــي ولـــوالديْكَ إلـــيَّ المـــصـــيرُ) لـــقـــمـــان / ١٤ .

فـــفـــي هذه الآية الكريمة يوصى الله سبحانه وتعالى الإنسان بوالديـــه كما جاء أيضا بآيات أخرى ، ويحثه على أن يشكر الله سبحانه وتعـــالى الذي أوجده وهو المنعم الأول ، وأن يشكر والديه المنعمين التاليين علـــى ما قام به نحوه ، وأن مرجعه إلى الله إشارة إلى حقيقة الآخرة وســـوف يحاسبه الله ويثاب على ما قدم في سبيل رضاء والـــــديه حيـــث ينفـــع رصيد الشطر المذخور فينال المرء الثواب ورضاء الرحمـــن .

ووصانا ربنا أن نحسن إلى الوالدين في كل أطوار حياتنا وحتـــى إذا ماتا فنترحم عليهما لنشعر دائما بالإنتماء إليهما لأنهما عملا الكثير فـــي

سبيل تربيتنا ومستقبلنا فلا تكن عاقا وأعلم أن ما تفعله في أبـــائك يفعلـــه أبناؤك فيك من بعد فكما تدين تدان.

صـلـــة الأرحام

الرحم : القرابة ، وصلة الرحم مشروعة ، وهـــي تقـــوّى روابـــط المودة والحب ، والتمنى لتحقيق الآمال للأهل والأقارب ، وتشـــد الأزر بين العشيرة والأهل فـــفي أى ظرف من ظروف الحياة يجد من يصـــل رحمه العون والمساعدة سواء مســاعدة ماديـــة أو بدنيـــة مـــن الأهـــل والأقارب وعن أبي بكر رضى الله عنه قال قال رســـول الله صلـــى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله تعالى عقوبته في الدنيـــا مع مال يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي ، وقطيعة الرحـــم " رواه أبو داود.

وتكون صلة الرحم بزيارة ذوي الأرحام ومعونتهم بالنفس والمـــال ، هدية وصدقة وهبة وزكاة إن كانوا فقراء ، وفوائد الصلة أنها تبعد الحقـد والضغينة وتدخل السرور والفرحة ، قال عليه الصلاة والسلام : " أحـــب الأعمال إلى الله الإيمان بالله ثم صلة الرحم ، وقال لا يقبل الله أعمـــال قاطع رحم ".

وقال النبي أيضا " أسرع الخير ثوابا البر وصلـــة الرحـــم " . وعـــن عائشة رضي الله عنها قالت عن النبي عليه الصلاة والسلام : " الرحـــم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته " .

وقال أيضا قال الله تعالى : " أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اســـما من اسمى فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه ، ومن بتها أبته " .

وسأل موسى عليه السلام ربه ـــ .إن تباعدت عنى كيف أصلـــها قـــال سبحانه وتعالى (أحبب لها كما تحب لنفسك). وقال النبي عليـــه الصـــلاة

والسلام:

" توضع الرحم يوم القيامة لها حجية كحجية المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها " .

وفي شريعتنا المطهرة تحصل الصلة بإرسال الهدية والسلام ، وصلة الأرحام من أهم ما دعا إليه الإسلام ، وأمر به الرحمن في كتابه الكريم مبينا أهميتها ، وثوابها لمن يفعل . قال تعالى : (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) . الرعد/٢١ .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أعمال بني آدم تعرض على الله ليلة الجمعة ، ولا يقبل الله أعمال قاطع رحم " .

وفي الآية الكريمة التى سبق ذكرها إجمال ما أمر الله به أن يوصل يصلونه أى أنها الطاعة الكاملة لله سبحانه وتعالى ، والإستقامة الواصلة والسير على السنة ووفق الناموس لا إنحراف ولا التواء أى الإستقامةالمطلقة التى لا تلوى ، والطاعة المطلقة التى لا تتفلت ، والصلة المطلقة لا تنقطع ومن هذه الطاعة لله صلة الأرحام ــ وصلة الأرحام لها طرق كثيرة منها ــ تبادل الزيارات ــ أو مد يد المعونة والمساعدة في كل الظروف والأحوال ، وأيضا بإرسال الخطابات ، وأيضا الإتصال التليفوني . مما يحبب القلوب ، ويقرب النفوس ، ويشرح الصدور قال عليه الصلاة والسلام : " تهادوا تحابوا فإن الهدية تُذهب وغر الصدور " وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فقال يا رسول الله : إن لي ذوي أرحام . أصلهم ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون أفكافئهم ــ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : لا إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك " . وعن عبد الله

بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرحـــم معلقــة بالعرش وليس الواصل بالمكافيء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها " رواه البخاري .

كفـالـة اليـتـيـم

اليتيم هو من مات أبوه ولم يبلغ ، وكفالته تتمثل في العناية بـــأموره ، وتنمية ماله ، قال تعالى : (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) البقرة / ٢٢٠ .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " أنا وكافل اليتيم فـــي الجنــة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما " . وفي الإحســان إلى اليتيم قال عليه السلام : إن أحب البيوت إلى الله بيـــت فيـــه يتيـم يحسن إليه وإذا بكى اليتيم اهتز عرش الرحمن . وقـــال عليـــه الصـــلاة والسلام : " من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة مرت عليها يـــده عشر حسنات " .

وعن أبي الدرداء أنه شكا قسوة قلبه إلى النبي عليه الصلاة والســـلام فقال له : " ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبـك !! " فالاهتمام باليتيم والرعاية له ، وإعطائه الحب والحنـــان الـــذى فقـــده يجعله ينشأ نشأة صحيحة قويمة فيصير نافعا لنفسه ولوطنه ، ولنـــا فـــي رسول الله أسوة حسنة فقد تربى يتيما ورغم يتمه برزت فيـــه الرجولـــة الحقة ، والشجاعة ، وامتاز بالصفات الحميدة .

قال عليه الصلاة والسلام : " والذى بعثنى بالحق نبيا لا يعذب يـــوم القيامة من رحم يتيما " . وفـــي الذكـــر الحكيم دعـــوة إلـــــى الرحمة باليتيم قال تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى / ٩ .

وحكى أن رجلا كان كثير المعاصي فوجد يوما يتيما فكساه ثوبا فلمـــا

كان تلك الليلة رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النـــار فلما قرب منها إذا باليتيم يقول خلوا عنه فإنه كساني ثوبا !! . فقـــالوا : لم نؤمر بهذا . فإذا النداء من قبل الله تعالى خــلـــوا عنــه كرامــة لليتيم. قال تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) الرحمن /٦٠.

ونرى مما دعت إليه الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشــريفة ، الحث على الاهتمام باليتيم من كل نواحي الرعايـــة ، ويؤمـــن المســلم بقدسية كلام الله ، وبكلام رسوله فعليه أن يكون من السابقين لعمل الخير تجاه اليتامى حتى يفوز بثواب الله ورضاه وقربه لجنته . وقال بعـــض المريدين : ما خفت الموت ، ولكن خفت ما وراءه ، وهذا هــو الــوازع الديني الذى يهيمن على الإنسان ، ويمنعه من الإنحراف ، فـــالمؤمن لا يقع في الذنوب خوفا من الله وعقابه حيث يراه ، ويجتهد إلـــى طريـــق العمل الذى يرضي الله ، فالمسلم الحق يبغي الدار الآخرة ، فــلا يكــون ظالما ولا حاقداً ، ولا طلباً للمادة من أى طريق كان ، ولا يأكل أمـــوال الناس ظلما ومنها أموال اليتـــامى ، ولا يسـير فـــي حياتـــه بالتمويـــه والتضليل ، بل يستقيم على طريق الخير لينال رضا الله وثوابه .

الصبر على الابتلاء والــرِّضَا بالقضاء

قال الله تعـــالى: (يأيـــها الذيـــن آمنـــوا اصـــبروا وصـــابروا) آل عمران/٢٠٠

والصبر هو حبس النفس على ما تكره تقربا إلى الله ، ولا شيء يعـــالج الهموم إلا الصبر . فالصبر مفتاح الفرج وشفاء الصدور فـــي التســليم للمقدور ، وتمام الصبر أن يكون كما قال الله تعالى في كتابـــه الكريـــم : (والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقنـــاهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة الســـيئة أولئـــك لـــهم عقبـــى الـــدار)

الرعـــــد/٢٢ .

سأل النبي عليه الصلاة السلام طائفة من أصحابه : من أنتم ؟ قـالوا : مؤمنين . قال عليه الصلاة والسلام : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر على الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء " .

ولا بد من الصبر على الكيد بشتى صنوفه ، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتعاش الباطل ، والصبر على طول الطريـــق الشـائك ، والصبر على التواء النفوس ، والصبر على البـــلاء ، والصـــبر علـــى حوادث الزمان ، والصبر لإنجاز الأعمال ، والصبر على ضلال القلـوب وثـــقـــلـــة العناد ، ومضاضة الإعراض !! .

قال تعالى : (سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) الـــرعــــد/٢٤. فالصبر يعوِّد الصابرين على قوة التحمـــل ، ويعـــود الرويـــة بـــالأمور والأشياء ، ويُعود الالتزام ، ورضاء الرحمن وبه ينال الثواب والجـزاء . قـــال تعـــالى : (إنمـــا يُوفـــى الصـــابرون أجرهـــم بغـــير حِســـاب) الـــزمـــر/١٠. ومن يقابل المصيبة بالصبر ، والجلد ، والإيمـــان بـــالله وأنه لا إله إلا هو ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ... ، فهذا هـــو المؤمـــن الحق.

قال موسى عليه السلام : ياإلهي . أيّ منازل الجنة أحب إليك ؟ قـــال : حظيرة القدس . قال موسى ومن يسكنها ؟ قال سبحانه وتعالى أصحـــاب المصائب الذين إذا ابتليتهم صبروا ، وإذا أنعمت عليـــهم شـــكروا ، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون !! . وقال عز من قـــائل : (ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص مـــن الأمـــوال والأنفـــس والثمرات وبشر الصابرين) الـــبــقـــرة / ١٥٧.

والصبر من أسمى صفات الإيمان لأنه يعود الحلـــم ، وكتـــم الغيـــظ والحمد والرضا على البلاء ، والتسليم بقضاء لله ، والاستسلام لمشـيئته ،

والحامدون الذين تنطوى قلوبهم على الإعتراف للمنعم بنعمـــه ، وتلــهج ألسنتهم بحمد الله في السراء والضراء . ففي السراء للشكر على ظـــاهر النعمة ، وفى الضراء للشعور بما في البلاء من الرحمة ، حيــن يــدرك القلب المؤمن أن الله الرحيم العادل ما كان يبتلى المؤمن إلا لخير يعلمــه مهما خــفي على العباد إدراكه ، والرضا والاقتنــاع ، والصــبر علــى تكاليف الميثاق ، من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد .

قال موسى عليه السلام : ياإلهي دُلّــني على أمر فيه رضاك حتى أفعلــه فأوحى الله تعالى إليه : " رضائي في رضاك بقضائي ".

والرضا أعلى من الصبر درجة ؛ لأن من رضي صبر . قال تعالى: (ورضْوَانٌ من اللهِ أكبرُ) . كذلك رضاء العبد عن ربه أكبر من ســـائر الطاعات ــ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا أحب الله عبدا ابتــلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه " . قال تعالى : (ما عِنْدَكُمْ يَنفَــــد وما عِندَ الله بَاقٍ ولَنَجْــزِيَنَّ الذّين صَبَرُوا أجْرَهُم بِأحسَــــن مَــا كــانُوا يَعْمَلُونَ) النحــل / ٩٦ .

فالصبر إخضاع النفس وإعدادها لتحمل المكــاره ، والمشــاق حتــى تسهل عليها الطاعات . قال تعالى : (واستعينوا بـــالصبر والصَّــلاةِ إنَّ اللّه معَ الصَّابِرِينَ) الــبــقــرة / ١٥٣ . فمن صبر على فرائــض الله فله ثلاثمائة درجة . ومن صبر على ما حرم الله فله ســتمائة درجــة . ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة .

فالإيمان بالله وقدرته يستلزم الإيمان بقضائـــه وقــدره ، وحكمتــه ، ومشيئته فمن عرف الله في الرضا عرفه الله في الشــدة ، ومــن صــبر ورضي بالقضاء نال رضا الرحمن وجنته . عن أبي يحيي صهيب بـــن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجبــا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلــك لأحــد إلا للمؤمــن ، إن

أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) " رواه مسلم.

التواضع ونبذ الكبر

يعد التواضع ومجانبة الكبر من أسمى الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن ، وهى من أبرز القيم التى حث عليها ديننا الحنيف ، إذ حرص على تنقية النفوس من الأدران والنقائص ، والخلال المنبوذة ، والصفات القبيحة ، ومن الأخلاق المذمومة التى حرص الإسلام على تنقية نفوس أهله منها خلق الكبرياء ومن ثم نهى عن كل ما يفضي إلى حلول الكبر في قلب الإنسان .

فالعظمة لله وحده ، والكبرياء لله وحده ، وما اتصف إنسان بالتواضع في القول والعمل ، وفي أفعاله إلا فاز بتيسير أموره بعون الله وسنده وأيضا حب الناس له . وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ، وإذا أردنا النجاح في حياتنا فلنحارب الغرور في واقعنا . قال تعالى : (والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد / ٢٣ . وقال عز من قائل : (ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرحاً إنَّكَ لَنْ تَخـرِقَ الأرضَ ولَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً) الإسراء / ٣٧ .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر " . وقال أيضا : " من تواضع لله يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ، ومن تكبرعلى الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين "

وصلاح القلب في أربع خصال : التواضع لله ، الفقر إلى الله ، الخوف من الله والرجاء لله .

أى لا يدخل الكبر مع صاحبه الجنة بل يخرج منها في عرصات القيامة

بما يحصل للعبد من الأهوال والتوبيخ في ذلك اليوم إذ أوثـــرت جـــهنم بالمتكبرين والمتجبرين ـــ والمتكبر هو المتعاظم بما ليس فيه .
وأوثرت الجنة بالضعفاء وهو من يتبرأ من حوله وقوته ويتمسك بحـــول الله وقوته ولنا في تواضع الرسول أسوة حسنة فـــالنبي عليـــه الصـــلاة والسلام ـــ أمر أصحابه في سفر بذبح شاة ـــ فقال رجل عليَّ ذبحـــها، وقال آخر عليَّ سلخها ، وقال آخر عليّض طبخها ، وقال النبـــي عليـــه الصلاة والسلام وعليّض جمع الحطب "
وعن تواضع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
قال عروة بن الزبير رضى الله عنهما (رأيت عمر بن الخطـــاب علـــى عاتقه قربة ماء ـــ فقلت يا أمير المؤمنين ـــ لا ينبغى لك هـــذا ؟ فقـــال عمر لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسى نخوة (أى أعجـــب بنفسه) فأردت أن أكسرها)
رحم الله المتواضعين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام
فالإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عبـــاده تـــأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة أو جمال ولو تذكر أن مـــا به من نعمة فمن الله ، وأنه ضعيف أمام حول الله وقوتـــه لطـــامن مـــن كبريائه ، وضعف من خيلائه ، ومشـــى علـــى الأرض هونـــا لا تيـــهاً ولا مرحاً.

فالإنسان ضعيف قوى بقوة الله . عزيز بعزة الله ـــ كريـــم بروحـــه الذى نفخه الله فيه ليتصل به ، ويراقبه ولا ينساه .
والتواضع الذى يدعو إليه القرآن ـــ أدب مع الله ، وأدب مـــع النـــاس ، وأدب مع نفسى ، وأدب إجتماعى ، وما يترك هـــذا الأدب إلا صـــاحب خيلاء فارغ القلب صغير الإهتمامات يكرهه الله لبطره ، ونسيانه نعمتـــه ويكرهه الناس لإنتفاشه وتعاليه .

وأيضا من المتكبرين من ينفقون أموالهم رئاء الناس فخراً واختيـــالاً وتظاهرا ــ كل هذه الصفات الذميمة من الفخر والخيلاء مكروهة عنـــد الله وعند الناس ــ قال الحسين بن على رضى الله عنهما : " ما دخـل قلب رجل شئ من الكبر الا نقص من عقله بقدر ذلك "

والمتواضعون أولئك المهتدون بالقرآن وآياته الموقنون بالآخرة المفلحـون في الدنيا والآخرة لأنهم بما في قلوبهم من تفتح وشفافية يدركـــون فـــي كتاب الله مراميه وأهدافه الحكيمة .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : " إن العُجب يأكل الحسنات كما تـــأكل النار الحطب " فليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكـــن الخـير أن يكثر علمك وحلمك وتواضعك لله وإذا أحسنت حمـــت الله ، وإذا أســأت استغفرت الله .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غـــير كبر ــ فيأتى ضعفاء المساكين ويزورهم ويعود مرضاهم ، ولا يـلنف أن يمشى مع المسكين ، والعبد حتى يقضى لهم حوائجـــهم فكـان عظيمـا بتواضعه ، ولكن في عزة وكرامة في غير ضعف أو إســتكانة ــ تنـم أفعاله عن نفس طيبة ليس عنده مكر ولا دهاء ولا عجب ولا خيـــلاء ــ فعلينا أن نتجمل بخلقه وننسج على منواله ونترسم خطاه .

ولو وقف الإنسان لحظة يرقب ما خلـــق الله فـــي السـموات والأرض ويستعرض هذا الذى لا يحصى مـــن الأنــواع والأجنــاس والـــهيئات والأحوال ، والأوضاع والأشكال ، وخلقها وتكوينها علـــى هـذا النحـو العجيب الذى يدل على القدرة ومظاهر الإبـــداع ، ومعجـزات الخلـق المعروضة للأنظار والأسماع . فيُحدُ من كبريائه ، ويؤمن بأن العظمـــة لله وحده والكبرياء لله وحده . قال تعالى : (ولهُ الكِبْرِيَاءُ في السَّـمواتِ والأرضِ وهُو العزيزُ الحكِمُ) الجـــاثــيـــة / ٣٧ .

فلا بد للإنسان أن يعرف ما هو ومن خلقه ومن أنعم عليه بهذه النعم ويؤمن أنه مخلوق ضعيف ذليل لله الذى خلقه وأنعم عليه بما هو فيه من نعم فيتواضع في أقواله وأفعاله ومظهره ، ويجتهد بفعل الخيرات بهذه الصفة الحميدة التى هى من أسمى وأبرز سلوكيات الإسلام فينال ثواب الله ورضاه وجنته ونعيمها.

الوفاء بالوعد

يعدُّ الوفاء بالوعد أمارة على حسن إسلام المتخلق به ، وحفظه للعهد ؛ وهو دليلٌ على أن المتحلي بهذه الصفة جدير بحفظ ما ائتمنه الله عز وجل عليه، وفي القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف ما يؤكد الحث على الوفاء بالعهد ، وهو يشمل الوفاء بما تعاقد عليه المسلم والتزم به مع الناس . قال تعالى : (يَاأَيُّها الّذينَ آمَنوا أوْفُوا بالعُقُودِ) المائدة / ١ . والوفاء بالوعد من أكمل الخصال ، وبه تكون الثقة بين الأفراد والجماعات فترتبط برباط المودة والمحبة وهذا هو الإسلام .

وخلف الوعد من صفات المنافقين . والإسلام يؤصل خلق الوفاء بالوعد في نفس كل مسلم ومسلمة ، ويعتبر هذا الخلق العالى أكثر دلالة على صحة الإيمان وإخلاص القلب والنية ــ قال تعالى : (وَأوْفُوا بِالعَهْدِ إنَّ العَهدَ كَانَ مَسئُولاً) الإسراء / ٣٤ .

وجاء العهد في النظم القرآني مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى فاكتسب الجلالة والقدسية والإحترام ووجب الوفاء به مهما تكن الظروف والأحوال قال تعالى : (وَأوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عَاهَدْتُمْ) النحل/٩١ . فحسن إسلام المرء لا تؤكده العبادات التى يقوم بها فحسب ، وإنما يؤكده تمثله لتعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقه ، ومن أبرزها الوفاء بالوعد . وقد أخذ الفقهاء من هاتين الآيتين وغيرهما

بالقرآن الكريم وجوب الوفاء بالعهد والعقد ـ وهو ما يلتزم بـه المـرء نحو الآخـر .

ولقد إعتبر القرآن الكريم الوفاء بـالعقود والعـهود مـن الفرائـض المفروضة على كل مسلم حتى ولو كانت العقـود والعـهود مـع غـير المسلمين ، والدليل على ذلك لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليـه وسلم بالبراءة من عهود المشركين في أول سورة التوبة اسـتثنى مـن ذلك الذين لم ينقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . حيـث قال تعالى : (إلاَّ الذِّين عاهَدتُمْ مِن المشْركِينَ ثُم لم ينْقصُوكُم شَيئاً ولَـمْ يُظاهِرُوا عَليكُمْ أحَداً فأتِموا إلَيهمْ عَهْدهِمْ إلى مُدَّتِهمْ إن اللّه يُحبُ المُتقِيـنَ) الـتوبـة / ٤ .

وقد جعل الإسلام حكم القتل الخطأ للمسلم وذي العهد واحداً ؛ فأوجب الدية والكفارة على القاتل في الحالتين قال تعالى : (وَمَن قَتلَ مُؤمِنـاً خَطأً فتحرِيرُ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ ودِية مُسَلَمة إلى أهله) النساء / ٩٢ .

وقد بالغ الإسلام في احترام العهد مبالغة لا نجد لها نظـيراً فـي أى تشريع وضعى ـ حيث أوجب على المسلمين احترام العهد الذى يعطيـه أى رجل من المسلمين حراً كان أو عبـداً ـ فمثـلاً إذا عـاهد أدنـى المسلمين منزلة في المجتمع غير المسلمين من المحـاربين نفـذ عـهده ووجب على الجميع احترامه ولا يجوز لأحد من المسلمين نقضه . قـال عليه السلام " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم " . فالوفـاء بالعهد من أسمى صفات المسلم الذى يعمل ويجتهد بتطبيق ما جـاء بـه كتاب الله وما حثت عليه السنة في كل أمور حياته ولو كـان فـي ذلـك مشقة عليه فهو المؤمن حقاً فشريعتنا واضحة جليه تنير قلـب المؤمـن وتشرح صدره إذا عمل بها وينال ثواب الله وجنته قال تعـالى : (وأن ليْسَ للإنسَان إلا ما سَعَى) النجم / ٣٩ .

المداومة على التوبة

لقـــد جعل ربنا عز وجل التوبة ملاذا آمناً ، وملجأ حصينا يحتمى به المذنب الذى يعترف بذنبه ، ويؤمل في عفو ربه ، نادما علـــــى فعلــه ، غير مصر على خطيئته ، فهو يلوذ بحمى الاســتغفار ، ويتبــع الســيئة الحسنة ، فيكفر الله عنه سيئاته ويرفع درجاته . قال تعالى :
(ياأيُها الذين آمَنُوا تُوبُوا إلى اللّه تَوْبَة نصُوحاً) التحريم / ٨ .

والتوبة هى منارة السالكين ، الذين يجتهدون لبلـــوغ حمـــى ربـــهم ، ويلوذون بكنفه ، كما أنها باب الفلاح والهدايـــة ، والمدخــل الصحيــح للعبادة للإخلاص في العبادة ، الندم على ما فعله الإنسان ممــا يغضــب الرحمن ، وكثرة التوبة تخفف الذنوب وتحيي الضمير ، وتوقظ الغفــلان، والإنسان يتوب مخافة من الله وبتذلل إلى الله بالرجــاء أن يقبــل توبتــه ويعفو عنه ، ويرزقه العصمة من الزلل ، ويمن عليه بالسداد والاستقامة على طريق الطاعة . قال تعالى : (وَهُوَ الذّى يَقبلُ التَّوبَة عن عِبَـــادِهِ ، ويَعـــفُو عن السَّيئَاتِ ، ويَعلَمُ ما تَفعَلونَ) الشورى / ٢٥ .

والتائبون هم العائدون إلى ساحة مولاهم من تخبطات الشيطان ، وهم المستغفرون النادمون على ما فرطوا فيه ، السائلون الله الهداية وحســـن العاقبة .

والتوبة طهارة وصلاح ؛ لأن الله عز وجل لا يغلق في وجه الإنســان الضعيف الضال باب التوبة ، ولا يلقيه منبوذا حائراً في التيه ولا يدعـــه مطرودا خائفا من المآب ، ففتح له هذا الباب لتلقاه برحمته ، ويمكنه مــن أن يفيء إلى الحمى الآمن ويثــوب إلى الكنف الأمين !! . قال تعــالى :
(فسبح بحمد ربك واستغفره إنها كان توابا) النصر / ٣ .

وعفو الله تعالى عن العصاة من عبــاده المؤمنيــن مــأمول بالتوبــة الصادقة النصوح ، وبالإستغفار عن كـــل مـــا ســلف مــن المعــاصى

والذنوب، وبالعودة إلى رحاب الطاعـــة والإمتثـــال لله رب العـــالمين ، ومصداق ذلك في قوله تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلـــم نفســـه ثـــم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) النساء / ١١٥ .

فالاستغفار يستنزل به الرزق والغيث قال تعالى : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكـــم) هـــود / ٥٢ .

وقال تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكـم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكـــم أنـــهارا) نـــوح / ١٠-١٢.

فالإنسان كثيرا ما ينساق إلى مغريات الحياة ، وداعيات الـــهوى والله سبحانه وتعالى فتح أبوابه لكل التائبين المستغفرين ، وهو سبحانه يبســط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النـــهار ، والتوبة واجبة من كل المعاصي والذنوب لقوله تعالى : (وتوبوا إلـــى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) الـــنـــور /٣١ .

ومن ظن أن ذنبا لا يتسع لعفو الله فقد ظن بربه ظن السوء ، فكم مـــن عبد كان من إخوان الشياطين فمـــن الله عليه بتوبة محت عنه ما ســـلف فصار صواما قواما ؛ لأن التوبة هى النور الذي يمحو ظلمات العصيان، فيرجع العبد إلى نور الرحمن ، ولذا كانت التوبة مفتاح كل فلاح ، ومـــن تدنس بشيء من قـــذر المعـــاصي فـــلـــيبادر بغســـله بمـــاء التوبـــة والاستغفار، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن العبد إذا اتجـــه إلى ربه بعزم صادق وتوبة نصوح نال رضاء الله وثوابه .

والتوبة النصوح : هى الندم بالقلب ، والاســـتغفار باللســـان ، والـــترك بالجوارح، وإضمار التائب ألا يعود إلى مقارفة الذنـــب مـــرة أخـــرى ، والتوبة من الذنب والندم على فعله يخفف عقابه ، وكثرة التوبـــة تمحـــو

السيئات والخطايا ــ فطرق الضلال كثيرة ، وطريق الحق واحد .

جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قال حين يفرغ من وضوئه : اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين، واغفر لي إنك على كل شيء قدير . وجبت له الجنة ، وغفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " وخير الخطائين التوابون ، والله سبحانه وتعالى بعباده ودود رحيم .

قال تعالى : (واستغفرو ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) هود / ٩٠ .

قال رجل لابن مسعود : "عملت ذنبا فهل لي من توبة ؟ فأعرض عنه ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان بالدموع فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب تفتح وتغلق. إلا باب التوبة فإن عليه ملك موكل لا يغلقه إلا يوم القيامة فلا تيأس من رحمة الله "

وقد سعد آدم لأنه اعترف بذنبه ورأى أن التوبة واجبة فتاب إلى ربه وتواضع ولم ييأس من رحمة الله ، فالخوف من الله وحده ، وعدم الخوف ممن سواه ، والتوبة ، والمحاسبة ، والمراقبة ، والتفكر ، والإخبات ، والذل ، والزهد والورع ، وتعظيم حرمات الله ، والتواضع، والافتقار إلى الله ، والغنى عن الخلق ، وكف القلب عن المحرمات ....، كل هذه عبادات عسى الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا ، وتزكية نفوسنا ، وأن يهدينا دائما إلى التوبة والاستغفار طمعا في رضاه وجنته ونعيمها !! .

وربنا الرحيم بعباده لا يرضى عن العاثر الهابط المصر على المعصية وإنما يقبل عثرة الضعيف ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء في مغفرة الله عز وجل (ومن يغفر الذنوب إلا الله) . قال تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) طه / ٨٢ .

فمثلا الفاحشه أبشع الذنوب وأكبرها ولكن سماحة الدين لا تطـــرد مــن يهوون إليها ولا تجعلهم في ذيل القافلة ، وذلك بأن يذكروا الله ويتوبــوا إليه ويستغفروا لذنوبهم وألا يصروا على ما فعلوا وهـم يعلمـون أنــه الخطيئة ، وأن يكونو في إطار العبودية لله ، والاستسلام له في النهايـــة فيظلوا في كنف الله وفي محيط عفوه ورحمته وفضله .

والتوبة من الذنوب لها ضوابط وأحكام : فإذا كانت المعصيـــة بيــن العبد وربه فشروطها : أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم علـــى فعلـــها ، وأن يعزم إلا يعود إليها أبدا . فالحياة الدنيا ما هــــى إلا لــهو وتفــاخر وسراب خداع وهى في كل الأحوال زائلة والحياة الآخرة هى الباقيــة ، والأعمال الصالحات من توبة واستغفار وذكر لله ومخافة لـــــه سـبحانه وخشيته ... ـــ هي الطريق الصحيح لرضا الله عن عبده وينال العبــد على فعلها الجزاء والثواب وهى الطريق إلى جنة عرضــــها الســموات والأرض . ومن رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبــل توبته ويحسن عاقبته ، ويجعله من ورثة جنة النعيم ؛ لأنّ التوبة تجُبُّ ما قبلها !! . وفي الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب لــــه ؛ ولـــهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ، ولا قوبلـــوا بمــا عملوه قبلها فينقض لهم مما عملوه بعدها ؛ لأن ذلك ذهب هدرا . وهــذا من كرم الكريم وحلم الحليم سبحانه وتعالى .

والله سبحانه وتعالى وعد عباده الذين يعملون الصالحات ويتوبــون مــن قريب الجنة قال تعالى : (جنَّاتِ عَـدنٍ الَّتِي وَعَـدَ الرَّحمنُ عِبَـــادَهُ بالغَيبِ إنَّهُ كانَ وَعْـــدُهُ مَــأتِـيـــا) مـــريم ٦١ . أي أن الجنــات التى يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أى إقامة دائمـــة طيبــة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب ، أي هي من الغيب الذي يؤمنـــون به ، وذلك لشدة إيقانهم ، وقوة إيمانهم والنـــدم علـــى فعــل المعــاصى

والإسراع إلى التوبة والتذلل لله سبحانه وتعالى لقبول التوبة فينالوا ما وعدهم ربهم به . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " رواه مسلم .
وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغـو " رواه الترمذي .

كثرة الصدقات .

حث الإسلام على الصدقات وجاء ذلك بآيات كثيرة في القرآن الكريم موضحة من تجبء عليهم الصدقات ، وللصدقات فوائد كثيرة لفاعلها ومُجزلها فهى تصونه من مكاره الدنيا وتقربه لله سبحانه وتعالى .
قال تعالى : (إنّما الصّدقــاتُ لِلفقــراءِ والمسَـكينِ والعـامِلينَ عَليْـهاَ والـمؤلّفةِ قلوبُهُمْ وفي الرقابِ والغَارمينَ وفي سبيلِ الله وابـنِ السَّـبيلِ فريضَةَ مِنَ اللّه ، واللّه عَليمٌ حَكيمٌ) الـتـوبة ٦٠ . وقال فـي آيـة أخرى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : (خُذْ مِن أمْوالهمْ صَدَقـة تُطهِرُهُم وتُزَكِهمْ بِها) الـتـوبة ١٠٣ .
وليست الصدقة بالمال وحده ولكن لها أبواب أخرى منها : ذكـر الله عز وجل ، والثناء عليه بما هو أهله ، وأن تلقى الناس بوجه طلق ، وأن تميط الأذى عن الطريق ، وأن تعين ذا الحاجة ، وأن تغيـث الملـهوف ... وغيرها كثير . قال عليه الصلاة والسلام : " كل امريء فـي ظـل صدقته حتى يقضى بين الناس ، وإن الصدقة لتطفيء عن أهلـها حـر القبور ، ويستظل المؤمن يوم القيامـة فـي ظـل صدقتـه " !! رواه الطبرانى . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : " هل أدلكم على صدقـة

يحبها الله ورسوله ؟ أن تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا ، وكل الكذب يكتب على بني آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما " .
وقال عليه الصلاة والسلام أيضا : " من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ، ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه " .
قال تعالى : (لاخَيرَ في كَثيرٍ من نَجواهُمْ إلاَّ مَن أمر بصَدَقَةٍ أو مَعروفٍ أو إصلاَح بَينَ النَّاس ومن يَفعَل ذَلِكَ إبتغَاءَ مَرضَاتِ الله فسَوفَ نُؤتِيه أجْراً عظيما) النساء / ١١٤ . وقال عليه السلام لعائشة : " يا عائشة لا تردّي مسكينا ولو بشق تمرة ، وأحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة " !! . وقال أيضا :
"بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها " فالصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والكلمة الطيبة صدقة وهى لا تكلف جهداً ولا مشقة ، ويستطيع الإنسان أن يقولها بيسر ودون كلفة أو عناء . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام من تبسم في وجه غريب فهى صدقة وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً كساه الله من حلل الجنة " .
وقال عيسى عليه السلام : " استكثروا من شيء لا تأكله النار . قيل : ما هو ؟ قال : المعروف فالمعروف صدقة " . وقال عليه الصلاة والسلام :
"عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: ففى الدنيا تزيد الرزق ، وتزيد المال ، وتعمر الديار . وأما في الآخرة : فتستر العورة وتسير ظلاً فوق الرأس ، وسترا من النار " .
وقال عليه الصلاة والسلام : " اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة " والصدقة أربعة أحرف هي:

(ص د ق ه)

فالصاد : تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة .

والدال : تدل على ط ريق النجاة .

والقاف : تقرب المتصدق إلى ربه عز وجل .

والهاء : تهديه إلى الأعمال الصالحات .

قال عليه الصلاة والسلام : " يا أمة محمد والذى بعثنى بـالحق نبيـا لا يقبل الله صدقة من رجل له قرابة محتاجون إلى صلة ، ويصرفها إلـى غيرهم والذى نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة " . وصدقة السـر أفضل لأنها تطفيء غضب الرب ، ومن السبعة الذين يظلـهم الله فـي عرشه رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ".

وقال صلى الله عليه وسلم : " من مشى في حاجة أخيه المسلم كتـب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة " . وقال أيضـا : " الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار " .

فالصدقات سبيل إلى رضوان الله وجنته . فعلى المؤمن إن يعمل بمـا جاء بكتاب الله ويقتدى بسنة رسوله وأحسن الصدقات صدقة عن ظـهر غنى .

قال عليه الصلاة والسلام : " داووا مرضـاكم بالصدقـة ، وحصنـوا أموالكم بالزكاة " .

والصدقة أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك . فأمـا صدقتك على نفسك فحملها على أداء حقوق الله ومنعها من مخالفة أمره، وقصر يدها عن أذية الخلق ، وصون خواطرها وعقائدها عن السـوء . وأما صدقتك على الغير فصدقة بالمال ، وصدقـة بـالقلب ، وصدقـة بالبدن . فصدقة المال بإنفاق النعمة ، وصدقة بـاليد بالقيـام بالخدمـة ، وصدقة بالقلب بحسن النية .

تــركُ الحِــقْــــــد

الحقد من أسوء الصفات التى يتصف بها الإنسان ، وهـــى الحسـد وإستكثار نعم الله على الغير التى أنعم بها على عباده ، وأيضـــا الــذى يتصف بصفة الحقد يكون غير راض عن نفسه بما قســم الله لــه ، و لا يشعر بالقناعة بما عنده فيعيش تعسا غير مطمئن النفس ، ومهما أعطــى لا يقنع ودائما بصره وقلبه ونفسه على ما عند غــيره ، وتلــك خصلــة ذميمة لأنها تولد الضغينة والكراهية ، وتســـتلزم سـخط الله سـبحانه وتعالى على الحاسد الحاقد ؛ لتمنيه زوال نعم الغير التى أنعــم الله بــها على عباده .

فالمسلم المؤمن الذى يتصف بصفة القناعة ، والرضا بما قسمه الله له من الرزق والعيش فلا يدخل قلبه الحقد على أحد مـــن عبــاد الله ، ولا يتمنى لأخيه في الله زوال نعمه التي أنعم الله عليه بها فيعيش في ســـلام واطمئنان وسعادة ويفوز برضا الله .

حكى أن رجل كلما مر من أمام الرسول عليه الصلاة والسلام يقـول: هذا رجل من أهل الجنة . فأحب رجل آخر أن يعرف ماذا يفعـــل هــذا الرجل من عبادات حتى فاز بهذه الدرجة ، فذهب ليستضيفه وبات عنــده فوجده يفعل كما يفعل هو من عبادات . فسأله لماذا يخبرك النبي بــهذا ؟ فقال إنى أبيت وليس في قلبى حقدٌ لأحد من عباد الله !! .

فأغنى الناس من قنع بما تيسر ، وأصبرهم من صبر على فاقتـــه . قال عليه الصلاة والسلام : " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحســنات كما تأكل النار الحطب " . وقال أيضا : " لا يزال الناس بخير مـــا لــم يتحاسدوا " . وقال أبو ذر يارسول الله أوصني . قـــال الرســول عليــه الصلاة والسلام : " أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمــر كلــه . فقــال أبوذر : يا رسول الله زدني . قال الرسول عليه الصلاة والسلام عليــك

بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض ، وذكر لك في السماء . قال أبو ذر : يا رسول الله زدني . قال الرسول لا تخف في الله لومة لائم . قال أبو ذر : يارسول الله زدني . قال الرسول : عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك ، قال أبو ذر يا رسول الله زدني ـ قال الرسول : أنظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك " .

فإذا نظر الإنسان إلى من هو أقل منه وحمد الله على نعمه عليه وقنع بما أعطاه الله ورضى بما قسم له ـ فلا ينتابه الحقد ويكون دائما مطمئن النفس مرتاح الفؤاد ، سعيد العيش والحياة ، ويمتلأ قلبه بالصفاء والنقاء لا بالكراهية والحقد ويحب في الله ويتآخى في الله ، ويتمنى الخير لعباد الله . فالقناعة كنز لا يفنى

والمثل العليا للإنسان ما تملكه نفسه من قيم وفضائل لا ما تملكه يده من مال ومتاع وجاه وسلطان . فقد يزول عنه كل ذلك في لحظة ، ولكن الفضائل تسير على الأرض مجسمة فالمسلم القنوع شكور لربه حامد لنعمه ، ويستتر بستر الله فينال رضاء الله وثوابه وجنته .

كتمان السرّ

إن من أحب الأعمال إلى الله تعالى حفظ اللسان ؛ فكل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بالمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى . وكتمان السر من صفات العقلاء ، وآفة اللغو واغتياب الناس آفة اجتماعية وبيلة ، كما أنها في الوقت نفسه معصية دينية خطيرة . فالغيبة : آفة من أحظر الآفات فهى تشيع الحقد ، وتهدد الروابط بين الناس . قال تعالى : (ولاَ يَغْتَب بَّعْضُكُمْ بَعْضا أيُحِبُ أحَدُكُم أن يأكُلَ لحْمَ أخيه مَيْتا فكَرِهْتُمُوه) الحجرات / ١٢ .

والنميمة هي أيضا نقيصة إجتماعية ، حرمها الإسلام وذم من يرتكبها وتوعده بسوء المصير . قال تعالى يذم من يمشي بين الناس بالنميمة : (هَمَّازٍ مشَّاءٍ بنَمِيمٍ) القلم /١١ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة " . وأكثر خطايا بنى آدم في لسانه ، ومن كف لسانه ستر الله عورته ، ومن أراد أن ينور الله قلبه فليترك الكلام فيما لايعنيه وأن يكون حريصا على كتمان سره هُو ؛ فأضعف الناس من ضعف على كتمان سره . قال الأمام الشافعى

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى

وذنبك مغفورٌ وعرضك صينٌ

لسانك لا تذكر به عورة إمرئٍ

فكلك عورات وللناس ألسنٌ

وقال آخر :

فكم ساكت نال المنى بسكوته وكم ناطق يجنى عليه لسانه

فإذا ذكرت إنسان بما فيه فقد اغتبته ، وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته ، وإذا أفشيت سرا اطلعت عليه فمسلكك هذا ليس من خلق المسلم الحق . ولكى نفوز دائما برضا الله فلنبتعد عما يغضبه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم " لايرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة " . وقال أيضا :

"وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم". وقال صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

فالذي يحبه الله عز وجل يرزقه خلق إمساك اللسان عن أعراض الناس وأسرارهم ، وعدم لما من شأنه أن يؤذيهم ويشوه صورتهم أمام الناس . والمسلم الحق من يكف لسانه عن عورات الناس وأحوالهم وأسرارهم .

الاستقامة وغض البصر

من متطلبات الاستقامة على منهج الإسلام وهديه غض البصر ، فالمؤمن الذي يغض بصره عن محارم الله يطلق الله عز وجل نور بصيرته ، فكل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، والاستقامة هي السير السوى الذى ليس فيه اعوجاج ولا إنحراف ، والإلتزام بالشرع والعمل به والاتباع لسنة النبي والتمسك بها ، واستقاموا على محبة الله وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة .

ومن صفات المستقيم غض البصر ، وكف الأذى عن الطريق ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى : (إنَّ الّذينَ قالوا ربّنا اللّه ثمَّ إستَقامُوا فلا خَوفٌ عليْهم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ) الأحقاف / ١٣ .

والإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات فالنظرة الخائنة ، والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري مما يفلت زمام الأعصاب والإرادة ـ فإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الإستثارة ، وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليما وبقوته الطبيعية فالمؤمن الذى يخاف الله يغض بصره عن كل هذه المحرمات التي تصدر عن المرأة ، وعلى المرأة أيضا ألا تنظر إلى الرجل بنظراتها الجائعة المتلصصة المثيرة ، والله سبحانه وتعالى الذى يأخذهم بهذه الوقاية ـ فيجب غض البصر عن كل إغراء سواء المرأة بالنسبة للرجل أو الرجل بالنسبة للمرأة ، وأيضا غض البصر عن الذين يمارسون المحرمات كالذين يشربون الخمر أو الذين يلعبون الميسر ، والذين يصرفون أوقاتهم في اللهو

والملذات ـ كل هذه المحرمات وغض البصر عنها الطريق لرضا الله سبحانه وتعالى وثوابه .

قال تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِن اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) النور / ٣٠ .

والإسلام دين القيم والآداب العامة ، وقد وضع هذه القيم السامية موضع التنفيذ وعرَّف الإنسان بحقيقتها الدينية والدنيوية حتى يحفظ نفسه ولا يقع أسيرا لإغرائها ، ومنها أن يغض المؤمن بصره عن كل المحارم وينصرف إلى تحقيق معنى العبودية لله في الأرض في جو من الأمن الخالص فينال ثواب الله ورضاه وجنته . يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة على طاعته والمبادرة إلى الخيرات (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الواجب على المسلم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان إذ ذكره الله في كتابه الكريم مقرونا بالإيمان ـ قال تعالى : (كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ، وتَنْهَوْنَ عَنِ المنكَر وتُؤْمِنونَ بِاللَّه) آل عمران / ١١٠ . ودعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " . فيجب على المسلم الذى يقوم بهذه المهمة أن يكون حليما يأمر بالرفق ، وينهى باللين لا يغضب إذا لحقه أذى ممن أمره بل يصبر ويعفو ويصفح ، لقوله تعالى: (وأمُر بِالمعرُوف وانه عن المُنكَر، واصْبِر عَلى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ منْ عَزْم الأمور) لقمان/١٧.

ففي ذلك الصبر للوصول إلى ما أمر الله به الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الهدف الأسمى والقصد النبيل النهى عن كل ما هو منكر يحرمه الله ورسوله ، وكل ما يفعله العبد من خير تجاه أخيه المسلم يثاب عليه من الله سبحانه وتعالى ويفوز برضاه وجنته ، وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم " رواهِ الترمذي .

التوكل على الله

وهو من العبادات القلبية . قال تعالى (وَتَوكَّلْ علىَ الحَيِّ الذِى لا يَمُوتُ) الفرقان / ٥٨ . وحقيقة التوكل أن يعلم العبد أن الأمر كله لله وحده ، وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن يرضى العبد بكل ما قسمه الله له من نعم أو ابتلاء ؛ لأنه سبحانه وتعالى وحده هو المعطي ، والمانع والخافض والرافع والمعز والمذل ، والنافع والضار ... ، من غير التفات إلى غيره في شيء من ذلك ، ثم يعتمد قلبه على ربه ويستند إليه ، ويطمئن إلى تدبيره ، ولما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال : "حسبي الله ونعم الوكيل " !! . وقال النبي عليه الصلاة والسلام ــ " من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله " . قال تعالى : (ومَنْ يَتوكّلْ عَلىَ الله فَهُو حَسْبُهُ) الطلاق / ٣ . وقال الحسن البصري : " التوكل هو الرضا بفعل الله تعالىِ " أيّ إعتماد القلب على الله ، وأن تسكن إلى وعد الله ، والتسليم أن تكتفى بعلم الله ، والتفويض أن ترضى بحكم الله عز وجل مفوضا أمره كله إلى الله في جلب مصالح دينه ودنياه ، ودفع المضار ــ إن من يتوكل على الله فهو حسبه وهو يكفيه .

وليس معنى التوكل على الله أن يكف الإنسان عن العمـــل ؛ فنحـن مأمورون بالعمل أولا ثم التوكل بعد ذلك على الله . والدليل قوله تعالى: (وَعَلَىَ اللَّه فَتَوكَّلوا إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ) المــائـــدة / ٢٣ . و قال النبـي عليه الصلاة والسلام للإعرابي الذى لم يربط ناقته بزعم أن الله إذا شـاء أن تضيع فسوف تضيع فما حاجته إلى ربطها فقال له رسول الله صلـى الله عليه وسلم : " اعقلها وتوكل " أيْ أن الإنسان مطـالب أولا باتخـاذ الأسباب ثم التوكل على الله سبحانه وتعالى بعد ذلك ، فعلـى العبـد أن يجتهد ويعمل للحصول على رزقه المقدر له من الله ، متوكلا علـى الله في كل خطوة يخطوها وفي كل عمل يؤديه ، ويكون قانعا راضيـا بمـا هو فيه ؛ لأن كل ما هو فيه من عند الله فينـال ثـواب الله ورضـاه ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " إذا خرج الإنسان من بيته وقـال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : هُـديت وكُـفيت ووُقيت وتنحى عنه الشيطان " رواه الترمذي.

حُسْـن الجـوار

وهو من الأمور التي حثنا الشرع الإسلامي الحنيف على مراعاتـها ، والحرص عليها ؛ تدعيما لأواصر العلاقات بين الناس ، فيجـب علـى المؤمن أن يعامل جاره بكل حب وود وأخوة يتمنى لجاره ما يتمناه لنفسه من الخير .

فالجار أقرب للمرء من أهله الذين بعدت عنه إقامتهم ، ومن ثم فـهو أقرب الناس لجاره عند حدوث المصاعب أو الأزمات التي تحتاج عونـا وإغاثة ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن آذى جاره حرمت عليه الجنة . قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : " مـن آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله " !! .

ومن حق الجار على جاره ـ إن إستعان به أن يعينه ، وإن إستقرضه أن يقرضه ، وإن مرض أن يعوده ، وإن مات أن يتبع جنازته ، وإن أصابه خير أن يهنئه ، وإن أصابه مكروه أن يواسيه ، وألا يستطيل عليه في البنيان إلا بإذنه ،

قال تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّه ولا تُشْرِكوا به شَيْئاً وبالوالِدين إحْسَاناً وَبِذِي القُربى واليَتامَى والمسَاكِينِ ، والجَار ذِي القُربَى ، والجَار الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ ..) النساء / ٣٦ . والجار ذى القربى هو الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة ، والصاحب بالجنب هو الجار الملازم ويشمل الخليل في الحضر والرفيق في السفر.

وعن عبد اله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " رواه البخاري . وقال أيضا : " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره " رواه الترمذي . وقال صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان ، وجار له ثلاث حقوق وهو أفضل الجيران حقا . فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، فله حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجارٌ مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له ثلاث حقوق فجار مسلم ذو رحم فله حق الجار ، وحق الإسلام ، وحق الرحم " . وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لى جارتين فإلى أيهما أهدي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إلى أقربهما منك بابا " رواه البخاري . وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يشبع الرجل دون جاره " .

وقد حث رسول الله على رعاية الجار فقال : " والله لا يؤمن ، والله

لا يؤمن ، والله لا يؤمن !! قالوا لقد خاب وخسر يارسول الله من هـو ؟ قال عليه الصلاة والسلام : من لا يأمن جاره بوائقه . قالوا وما بوائقه يـا رسول الله قال : الغوائل والشرور وظلمه " رواه البخاري .

وهكذا نرى أن الإسلام دعا إلى حسن معاملة الجار تطبيقا لما جـاء في كتاب الله الكريم ، ونرى أيضا تشديد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصاته بالجار ، حتى جعل العطف علىالجـار مـن أصـل دينـه ومقومات دعوته ، ذلك لشدة الإرتباط بين الجـيران ، وتحقيقـا لتبـادل المنافع بينهم وكمال التدين ، وحسن الخلق يقضيان بمنع الضـرر عـن الجار بأي شكل من الأشكال ، فلا يليق أن يعـادي الجـار جـاره ، أو يتربص به الشر ، أو يتمنى له الضر ، بل الواجب عليه أن يتمنـى لـه الخير ويجتهد في إيصاله إليه ، وكف الضررعنه ، وقد سقنا جانبا مـن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي فيها بحسن معاملة الجـار ، فعلى من يحب أن يرضي الله ورسوله فليعمل بذلك التوجيـه العظيـم ؛ جتى يحقق مرضاةربه ، ويسعد بحسن جوار إخوانه ومخالطيه .

ولـقـد وصانا الرسـول بثلاثة أفعال حميدة ننال عليـها ثـواب الله ورضاه ، فعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبـي صلـى الله عليه وسلم قال :

"من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمـن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " . وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يؤمـن أحدكـم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "

وصايا ونصائح

ولعنا بعد ما ذكرنا عن الإيمان والأعمال الصالحات ، بما أمر الله بـه والبعد عما نهى عنه سبحانه وتعالى ، والإقتداء بسنة رسوله صلـى الله عليه وسلم ، لأن هذه هي السبيل إلى الجنة . قال تعالى (وَمَن يُطِـعِ الله ورَسُولهُ فقدْ فازَ فوْزاً عظيماً) والرسول عليه الصلاة والسلام وضـح الطريق وضوحا فإليكم الطريق كما رسمه رسول الله صللـى الله عليـه وسلم في قوله : " تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلـها كنـهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك " . وقوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم يدخل الجنـة إلا من أبي ! قيل ومن يأب يا رسول الله ؟ قال : " من أطـاعني دخـل الجنة ، ومن عصاني فـقـد أبـى " . فالرسول عليه الصلاة والسـلام في هذين الحديثين قد بين الطريق ، ورسمه واضحا لكل ذي بصـيرة ، فهلموا أيها المسلمون وأيتها المسلمات لنسير سـويا إخوانـا متحـابين ، وأصدقاء متعاونين ، ونتزود من طاعة الله ، والعمل بما أمر به ، والبعـد عما نهى عنه ، وطاعة رسوله والعمل بسـنته لنحظـى برضـوان الله وجنته . قال تعالى :

(ومَا ءاتاكُم الرَّسُول فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ واتقوا اللّـه إنَّ اللّـه شَديدُ الـعـقـابِ) الحـشـر /٧ .

وهـذا نـداء للـغـافـلـين

أيها السادرون المغيَّبون اللاهـون المتكـاثرون بـالأموال وَالأولاد وأعراض الحياة أنتم مفارقون . أيها المخدوعون بما أنتم فيـه ، أنتـم تاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيـها ولا تفاخر ، استيقظوا وأنظروا إن هذا كله فان ، فلتشغل القلوب بطاعـة الله، والعمل ليوم الحساب الرهيب ، وترك مغريات الحياة الدنيا ، وشـواغلها

التي يهرع لها الفارغون.

القدوة الصالحة وأثرهـا في المجتمع

للوالـدين الأثر الكبير في تنشئة الأبناء تنشئة دينية قويمة ، ترتكـز على طاعة الله والتزام ما أمر به والابتعاد عما نهى عنه . وهـذا هـو الأساس في تكوين شخصية الإنسان منذ الطفولة ، واكتسـابه العـادات والتصرفات والسلوكيات الإسلامية إذا كانت الأسرة تتحلى بحظ طيـب من تلك الصفات ؛ لأن الإنسان كائن اجتماعي ، لا يعيش معزولا عـن بني جنسه ، وهو منذ طفولته تتكون العادات والسلوكيات لديه ، وتظـل في النمو والاطراد والوضوح إلى أن يكبر ويصبح إنسانا مكتملا .

ومن أهم العوامل التى تؤثر في تكوين هذه الصفات والعادات المـهد الأول الذى ينشأ فيه الطفل إنه (المنزل) الـذى فيـه يتشـرب أنمـاط السلوك ومختلف القيم والعادات ، ولا شك أن للمـنزل بـهذا الاعتبـار أخطر الأدوار في تكوين الإنسان وشخصيته ، فالطفل منـذ أن يولـد وحتى يبلغ خمس سنوات ترعاه أمه رعاية كاملة فإن كانت الأم صالحـة صلحت رعيتها .

والله سبحانه وتعالى هيأ المرأة بحكم تكوينها لوظيفة الأمومة فجعـل عاطفة الحب لديها أقوى فيجب أن تستغل فيما يفيـد ، والقـدرة علـى الصبر في تربية الأبناء أعظم ، وجعل منها صدرا حانيـا فـهى التـى ترتبط حياتهم بحياتها إرضاعا وتربية وتهذيبا ، فالطفل يقلدها فـي كـل حركاتها ، وأفعالها وسكناتها وألفاظها فهي الركـيزة الأولـى لتوجيـه الأطفال ، وتربيتهم التربية الصحيحة ، ونشأتهم النشأة القويمـة فـالمرأة نصف المجتمع ، وهى الأم ، والأخت ، والابنة ، والزوجة ، والخالـة ، والعمة إذا صلح أمرها صلح نصف المجتمع بل المجتمع كله .

فلا بد أن تكون الأم منبتا طيبا ، ومدرسة أخلاقية ترضع أبناءها مبـادئ اليقين ، وآفاق المجد وتطبعهم بأخلاق الدين ومبادئه ، فهى الدافـع الأول للاقتداء .

ولذلك أعتنى الإسلام بالطفولة وعمل على حمايتها من الأخطار التـى قد تتعرض لها تقديرا منه لدورها وما يبنى عليها من آمال ، فالأطفـال رواد الغد وبناة المستقبل ، لذلك أوجب الإسلام شروطا لبنـاء الأسـرة المسلمة منها :

أنه طالب الرجل أن يدقق فى اختيار زوجته ، وألا يعتمد على ذلك علـى عاطفته وحدها ، حتى يطمئن فيما بعد على سلامة مايأتى عن طريقـها من أطفال – قال الرسول عليه الصلاة و السلام : " تخيروا لنطفكـم إن العرق دساس " ، وقال أيضا : " إياكم وخضراء الدمـن " !! قيل وما خضراء الدمـن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فـى المنبـت السوء " . وقال أيضا : " تنكح المرأة لحسبها ، ومالـها ، وجمالـها ، ودينها فاظفر بذات الـدين تربت يداك " .

وليس لهذا التدقيق فى اختيار الزوجة مقصد إلا لأنها سـتكون أمًّـا تربِّي أجيالا فالأم الفاضلة خير من ألف معلم ، وصدق الشاعر القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

فهى أول مدرسة يتتلمذ عليها الطفل فى الحياة ، ويتلقى عنها ما يكـوّن شخصيته ، ولذلك لابد أن نتعهد الأطفال منذ بداية الرضاعـة فيتخـير الأب لولده المرضع الطيب ذات الدين المؤدية لفرائض الله مـن صـلاة وصوم و زكاة ذات الألفاظ السـامية الهادئـة الأعصـاب ... ، فـهذه السلوكيات يقتدى بها الأبناء منذ الصغر ، والطفل بطبيعته ميال للتقليـد وهو كالعجينة سهل التكوين .

الطفولة

ومن المهم أن تتعلم المرأة المسلمة بعض الأحكام الفقهية كأحكام الطهارة وأحكام الصلاة ، والزكاة ، والصيام حتى تكون ذات وعي ديني؛ لينطبع على الأبناء ، لأن الدين أساس السلوكيات والقيم والمباديء ، فهى منبعثة منه وعليها رفعة المجتمع والنجاح فى الحياة ، وتعليم أهل البيت فريضة شرعية لابد أن يقوم بها رب الأسرة إنفاذا لأمره تعالى فى الآية الكريمة : (يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) التحريم /٦ .

وهذه الآية أصل فى تعليم أهل البيت وتربيتهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وأمرهم بطاعة الله ، واجتناب معاصيه . فقد يحدث فى غمرة مشاغل الرجل ووظيفته وارتباطاته قد يغفل عن تفريغ نفسه لتعليم أهله فمن الحلول لهذا أن يخصص يوما لأهل بيته وأولاده ، يجتمع معهم فيه ويحثهم على عبادة الله ، وقراءة القرآن وتشجيعهم من يفعل ذلك منهم بالحوافز المادية والمعنوية .

وليس الأم وحدها صاحبة الأثر في القدوة الحسنة ؛ إذ للأب أيضا دور مهم في تربية أبنائه وإكسابهم جميل الصفات وكريم السجايا ، فالتزامه بمباديء الدين وحرصه على تأديتها ، وكأن يأخذ أبناءه معه للمسجد للصلاة لحثهم على عبادة الله ، ويجب على الأم والأب عدم اظهار الخلافات العائلية أمام الأولاد حتى لا يتزعزع تماسك البيت ، ويضر بسلامة البناء الداخلي ، ويتشتت الشمل بالاضافة الى الأضرار النفسية على الصغار فلنحرص على ذلك وليحاول الوالدان إخفاء تلك الخلافات عند حدوثها . والإسلام يلزم الوالدين عنما يبلغ الطفل سبع سنوات تعليمه أمور دينه وتلقينه فرائض الإسلام وعلى رأسها الصلاة .

يقول صلى الله عليه وسلم : " مروا أولادكم بالصلاة لسبع ،

واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع " وكالصلاة بقية أركان الإسلام التي يجب تلقينها للأبناء بأسلب سهل ، وطريقه مشوقة ، تجذب الطفل إلى الدين وتحببه فيه ، ثم يلى بعد ذلك تعليمه كل شئون الحياة التى تخلق منه إنسانا نافعا لنفسه وأهله والناس من حوله.

قال عليه الصلاة والسلام : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته " . وما أجمل أن يجمع الأب أولاده ليقرئهم القرآن ويعلهم أصول العقيدة الإسلامية ، ويعلمهم الآداب والأذكار الشرعية -كأذكار الأكل ، والنوم ، والعطاس ، والسلام، والاستئذان . وليس هناك أشد تنبيها وأقوى تأثيرا فى الطفل من سرد القصص الإسلامية على مسامعه ، واقتنائها فى البيت مثل ، قصة نوح عليه السلام ، وقصة إبراهيم عليه السلام ، وقصة موسى عليه السلام ، وقصة يونس فى بطن الحوت ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقصص الغزوات وغيرها ، وهي تغنينا عن القصص الخرافية المخيفة التى تفسد واقعية الطفل وتورثه الجبن والخوف .

وأقوم منهج سليم لإعداد الطفل إعدادا سويا تلك الوصية القرآنية التى يلقيها لقمان الحكيم على مسامع ولده ، والتى جاء فيها كما حكى القرآن الكريم : " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر و اصبرعلى ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس و لاتمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك و أغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) سورة لقمان/١٩ . وهذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم

ليمتثلها الناس ويقتدوا بها .

فالإطار السليم لذلك المنهج التربوي القرآني يعتمد على الإيمان بالله الواحد لا شريك له ، مع التمسك بتلك الواجبات الدينية التى تترجم الإيمان بالله ، إلى واقع عملي وسلوكي منظم ، ولقمان بن عنقاء بن سدون وابنه اسمه ثاران وذكره الله بأحسن الذكر و أتاه الله الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق عليه عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه بأن يعبد الله و لا يشرك به شيئا . لكل هذا استحق لقمان الحكيم الأب المثالى أن يخلد ذكره على مر الدهور . فخصص الله سبحانه وتعالى سورة قرآنية تحمل اسمه تكريما وتعظيما ، وطالبنا بالإلتزام بوصيته آباء وأمهات حتى تنشيء أطفالنا على هدي منها ، ومحاولة الاقتداء بها .

من هذا المدخل نرى أن الشرائع السماوية زودت الإنسان بالزاد الصالح ورسمت الطريق الواضح ليقطع الإنسان حياته ويشعر بأمن وسعادة واستقرار ولن يتم هذا إلا إذا كان هناك قدوة تكون هى العنصر الصالح أمام الأبناء والقدوة تتمثل فى الأب والأم لأنهما هما اللذان تقع عليهما عين الطفل منذ الصغر وينطبع فى ذهنه ما يجرى فى محيط أسرته بل يقلد ما يراه من تصرفات الأبوين .

فالبيت قبل المدرسة مسئول عن تنشئة الطفل وتهذيب عواطفه وتقويم سلوكه والأولاد أمانة والأب مسئول ، والأم مسئولة عن تلك الأمانة فالقدوة الصالحة من الآباء والأمهات تصل بالأبناء الى ما نرجوه من خير وفلاح لأنفسهم ولوطنهم لأن الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، وإذا أرادت أن تصل بأبنائها الى المستوى التربوى الرفيع فلن تجد خيرا مما وصفه الإسلام ، وحدده الرسول عليه الصلاة والسلام فأنشأ رجالا ، وصنع أبطالا دانت لهم الدنيا وخضعت لهم الرقاب فى

المشارق والمغارب بعد أن جعلوا كلمة الله هى العليا .

فالسلوكيات و الأخلاق مكتسبة من الدين ومبادئه وأهدافه ، فشخصية المسلم تقوم على العقيدة ، و العبادة والأخلاق فلابد أن نتعهد الطفل من الرضاعة باختيار الزوجة الصالحة من المنبت الطيب الصالح – قال الشاعر:

ولم أر للخلائق من محل يهذبها كحضن الأمهات

فحضن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين والبنات

وكذلك نتعهده بتوجيهه وإرشاده الى العبادات كالصلاة والصوم والزكاة وتوجيهه أيضا الى السلوكيات القويمة كمساعدة الضعفاء ، والنهى عن المنكر وقول الصدق وعدم الكذب ، ومعرفة الحلال والحرام ثم نتولاه شابا بالتوجيه .

إرشادات للحياة

يقول أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

" الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت بينهما ، ونحن فى أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل . وإذا زللت فارجع ، واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فأمسك ".

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة يوم ينشق عنه قبره ، فيقول له هل تعرفنى ؟ فيقول : ما أعرفك.فيقول أنا صاحبك القرآن ، فيعطى الملك بيمنيه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل

الدنيا والقرآن شفاء القلوب بقراءته يطمئـــن الفــؤاد ، ويذهــب الغــم ، وينفرج الهم .

مـــن مشــكاة الــنــبــوة

قال الرسول عليه الصلاة والسلام :
"من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكــون أغنـــى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ومن ســـره أن يكــون أقوى الناس فليتوكل على الله " !! .

يقول الإمام الجنيد رضي الله عنه :
أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات و إن قل عمله وعلمه :
"الحلم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق " . وقال النبي صلـــى الله عليه وسلم : " ثلاث خصال تنتفع بها : متى لقيت أحد من أمتـــى فســلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم يكثر خير بيتك ، وصل صـــلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأولين ".

حـــوار طـــريـــف

بين الحسين رضى الله عنه وأعــرابي :

جاء أعرابي للحسين يسأله . فقال له الحسين : إني سائلك عن ثـــلاث فإن أجبت عن واحدة فلك ثلث الصرة ، وإن أجبــت عـــن اثنيـــن فلـــك الثلثان، وعن الثلاثة فكلها !! . فقال الأعرابي : اسأل ؟ فقال الحســـين رضي الله عنه أي الأعمال أفضل ؟ قال الأعرابي : الإيمان بالله . قـــال الحسين : فما نجاة لبعبد من الهلكة ؟ قال الأعرابي : الثقة بالله . قـــال الحسين : فما يزيد العبد رفعة ؟ قال الأعرابي : علم معه حلـــم . قـــال الحسين : فإن أخطأه ذلك ؟ قال الأعرابي : مال مع كرم . قال الحســين:

فإن أخطاه ذلك ؟ قال الأعرابي : فقر مع صبر . قال الحسين . فإن أخطاه ذلك ؟ قال الأعرابي : فصاعقة تحرقه !! . فضحك الحسين وأعطاه الصرة بأكملها.

إن فضل الله عظيم

إذا سألت لا تسأل إلا الله ، وإذا إستعنت فاستعن بالله .

جلس رجلان ضريران على طريق أم جعفر زبيدة العباسية ، وكانت معروفة بالكرم . فكان أحدهما يقول : اللهم ارزقني من فضلك . والآخر يقول : اللهم ارزقني من فضل أم جعفر !! وكانت تعلم ذلك منهما ، فكانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، وترسل لطالب فضلها دجاجة مشوية وفي جوفها عشرة دنانير !! . فيأخذها ويبيعها لصاحبه بالدرهمين التى أرسلتهم له وهو لا يعلم ما في جوف الدجاجة ! وأقاما على ذلك عشرة أيام . وجاءت أم جعفر لطالب فضلها ــ وقالت له أما أغناك فضلنا ؟ قال الرجل : وما هو ؟ قالت مائة دينار في عشرة أيام . قال لها : بل دجاجة أبيعها لصاحبي بدرهمين . قالت أم جعفر هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ، وهذا طلب من فضل الله فأعطاه الله !! وصدق الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) الحديد / ٢٩ . ويقول النبي عليه الصلاة والسلام : دعوة الرجل لأخية بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله ملكا يقول آمين ولك مثل ما دعوت.

دعاء سيدنا الخضر عليه السلام

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمتيها على فاستعنت بها على معصيتك ،

وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النــهار أو سواد الليل ، في فلاء أو خلاء ، أو سر أو علانية ياعليم يا بصـــــير " .
يقال هذا الدعاء صباحا ومساء طمعا في رضـــا الله ســبحانه وتعــالى .
وعن الخضر عليه السلام أيضا قال :
إذا دعا المريض بهذا الدعاء صباحا ومساء ســبعا عافــاه الله بمشــيئته وهــو : اللهم لا تشمت أعدائي بدائي ، واجعل القرآن العظيم شــفائي ودوائي ــ فأنا العليل وأنت المداوي !! .
ثلاث دعوات مستجابات :
1 ــ دعوة المظلوم ٢ ــ دعوة المسافر ٣ ــ دعوة الوالد لولده.

من الأذكار النبوية الشريفة

أستغفر الله لى وللمسلمين
أستغفر الله لى وللمذنبين
أستغفر الله لى وللخلق أجمعين
أستغفر الله غفار الذنوب
أستغفر الله ستار العيوب
أستغفر الله حتى نقلع عن المعاصى ونتوب
أستغفر الله حياء من الله
أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

2 ــ سبحان الأبدي الأزلي ــ سبحان الواحد الأحد ــ ســبحان الفــرد الصمد ــ سبحان من رفع السماء بلا عمد ــ سبحان من بســط الأرض على ماء جمد ــ سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عددا سبحان من قســم الرزق ولم ينس أحدا ــ اللهم إجعل أول يومنا هذا صلاحــا ، وأوســطه نجاحا ، وآخره فلاحا ــ يا أرحم الراحمين .

3 ــ بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ــ بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله .

بسم الله ما شاء الله . ما كان من نعمة فمن الله .

بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

بسم الله خير الأسماء . بسم الله رب الأرض والسماء

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

بسم الله على ديني ونفسي ــ بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي .

4 ــ سبحان فالق الإصباح . سبحان رب المساء والصباح ــ سبحان من يسبح له ما في الأرض وما في السماء ــ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم لك الحمد حمدا دائما عند كل طرفة عين وتنفس نفس . اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ــ الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافيء مزيده .

من الأدعية القرآنية

ما ورد منها في سورة البقرة :

(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة جسنة وقنا عذاب النار) آية/٢٠١.

(ربنا لا تؤخذانا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، وأعف عنا وأغفر لنا وإرحمنا أنت مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين) آية/٢٨٦.

سورة آل عمران :

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آية / ٨ .

(ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لايخلف الميعاد) آية ٩.

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين) آية ١٤٧ .

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) آية ١٩١

(ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار) آية ١٩٤.

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فأمنا ربنا فاغفر لنا ذنبوبنا وكفر عنا سيئاتنا توفنا مع الأبرار) آية / ١٩٣ .

(ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تحزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) آية ١٩٤ .

سورة الأعراف :

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لتكونن من الخاسرين) آية/٢٣.

(أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) آية / ١٥٥ .

سورة يونس :

(ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) آية ٨٥ ، ٨٦ .

(رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) هود / ٤٧ .

(رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) الإسراء / ٨٠ .

(رب اشرح لي صدرى ، ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) طـــه / ٢٨,٢٧,٢٦,٢٥ .

(رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) المؤمنون / ٢٩.

(رب أعوذ بك من همزات الشياطين) المؤمنون / ٩٧ .

(وأعوذ رب أن يحضرون) المؤمنون / ٩٨ .

(رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) المؤمنون / ١١٨ .

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) الممتحنة / ٤ـ٥.

ومن دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام

١- اللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك.

٢- اللهم إنى أعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى فجورا أو أن أكون بك مغرورا

٣- اللهم إنى أعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعضال الداء ، وخيبة الرجاء .

٤- للهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب .

٥- اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى .

٦- اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم والمؤخر لا اله إلا أنت سبحانك وأنت على كل شيء قدير .

٧- اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

٨- اللهم إنى أعوذ بك من سوء الخلق وهم الرزق يا أرحم الراحمين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما استفاد المرء بعد تقوى الله

خيرا من زوجة صالحةإن نظر إليها سرته ، وإن أمرها طاعتـــــه ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى عرضه وماله)

و قال أيضا : (عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنـــــة ، وإيـــاكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال لى جبريل : (يا محمد عش مـا شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت مفارقه ، واعمـــل مـــا شـــئت فـــإنك ملاقيه)

والأصول الثلاثة التى يجب على الإنسان معرفتها :

١- معرفة العبد ربه ٢- معرفة العبد دينه ٣- معرفة العبد نبيه

معرفة الله بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمـــر ، ومن مخلوقاته – السماوات السبع والأرضون وما فيهن ومـــا بينـــهما .

روى الشهاب عن القشيرى أنه مرض له ولد فرأى النبي فى منامه فشـكا إليه فقال له : اقرأ عليه آيات الشفاء ففعل وعوفى ولده وهى :

(١- ويشف صدور قوم مؤمنين) التوبة/١٤

(٢- وشفاء لما فى الصدور) يونس/٥٧

(٣- فيه شفاء للناس) النحل/٥٧

(٤- وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء/٨٢

(٥- وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء/٨٠

(٦- قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت/٤٤

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل –(ادع بهذا الدعاء لوكـــــان عليك دين مثل جبل أحد لأدى الله عنك : اللهم مالك الملك تؤتى الملـــك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشـــاء ، بيدك الخير إنك على كل شيئ قدير . رحمان الدنيا والآخرة تعطيهما من تشاء وتمنعهما من تشاء إرحمنى رحمة تغننـــى بها عـــن رحمـــة مـــن

سواك) رواه الطبراني .

من وصايا لقمان لابنه

قال لقمان الحكيم لابنه : أى الخصال خير ؟ قال الدين : قال لقمان وان كانت إثنتين ؟ قال : الدين والمال . قال لقمان : وإن كانت ثلاث ؟ قال : الدين والمال والحياء . قال لقمان : وان كانت أربعة ؟ قال : الدين و المال والحياء وحسن الخلق . قال لقمان : وان كانت خمسة ؟ فزاد السخاء . فقال لقمان : يا بني من اجتمعت فيه الخمس خصال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء فهو تقي نقي ولله ولي ومن الشيطان بري !! .

* * * * *

فهرس الموضوعات

• • • • •

